تيفراز

معالم الريف

E-mail : tifrazrif@hotmail.com

أسبوعية جامعة مستقلة تصدر مؤقتا مرة في الشهر

مدير النشر : حسن الجرموني | رئيس التحرير : سعيد الغزواني | إ.ق : 0013 – 2003 | م.ص : 2003 – 1 | ردمد: 6362 – 1114 | العدد 3 يونيو 2003 | الثمن : 3 دراهم

في الحاجة إلى علي المرابط

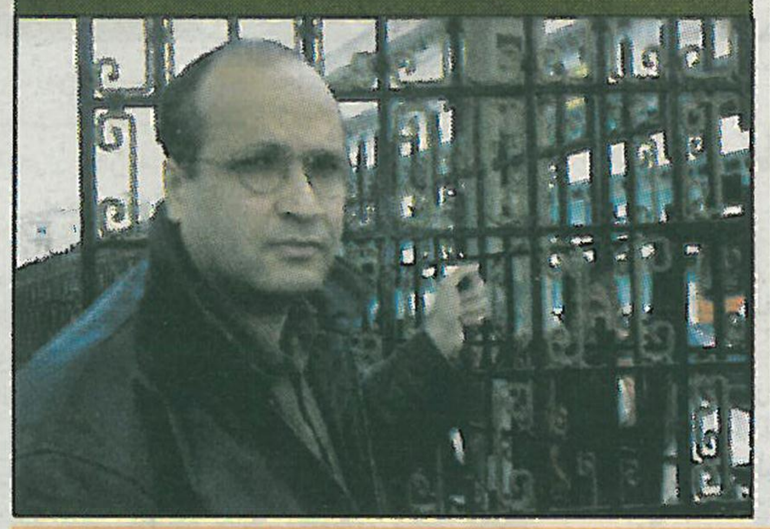

عدد في حلة جديدة 20 صفحة

Interview avec Lunes Belkacem président du CMA :

Le projet des Imazighen se confronte et s'oppose au projet de la société obscurantiste intégriste

في الذكرى الثانية والثمانين لمؤتمر جبل تامة :

الدكتور عمر الخطابي :

إذا كنا مهمشين فذلك ما نستحقه !؟

سأسخر ما تبقى من عمري للمساهمة في إعادة الإعتبار للريف

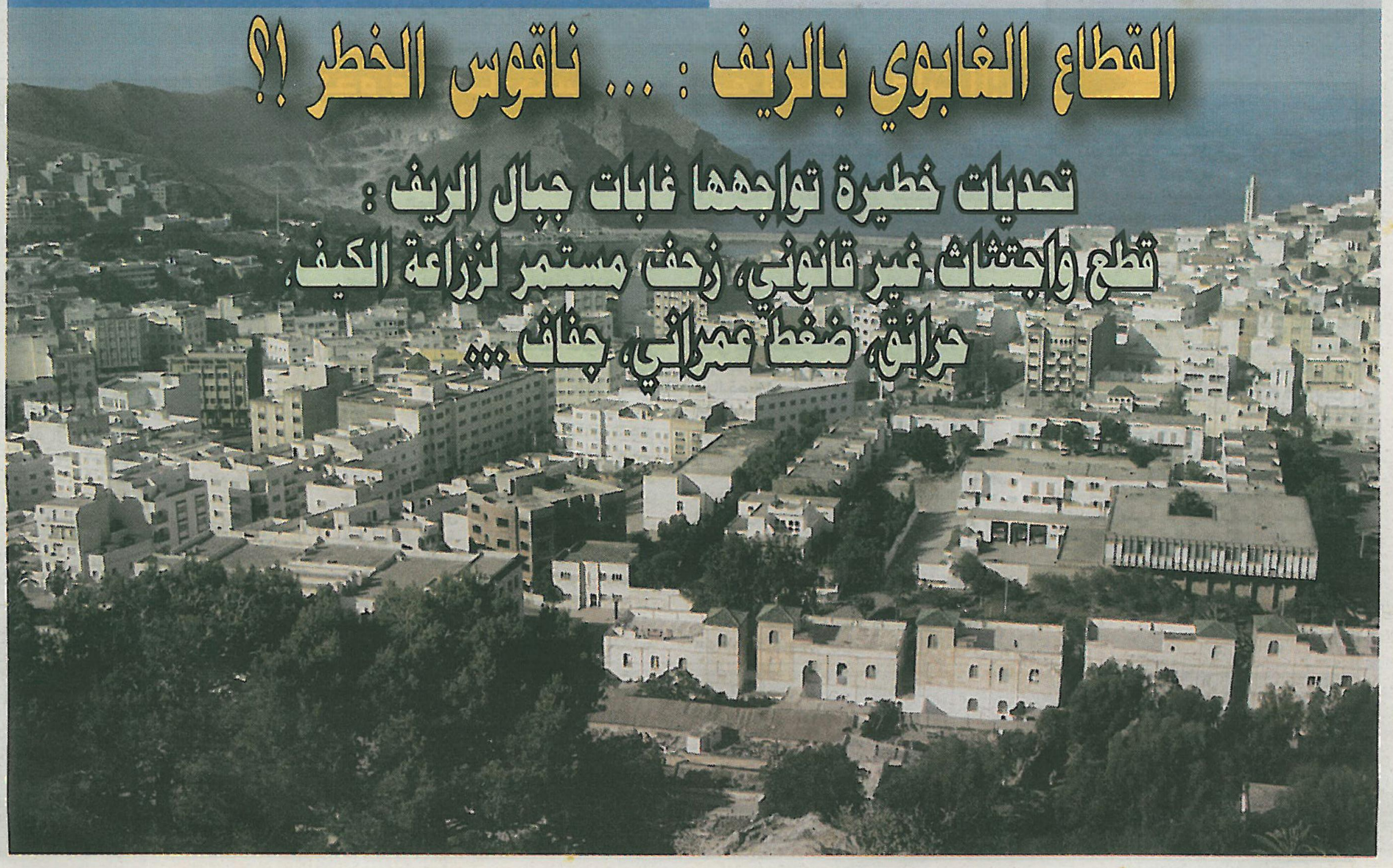

القطاع الغابوي بالريف : ... ناقوس الخطر !؟

تحديات خطيرة تواجهها غابات جبال الريف :

قطع واجتثاث غير قانوني، زحف مستمر لزراعة الكيف، حرائق، ضغط عمراني، جفاف ...

رسائل القراء:

من السيد الحسين يعقوب أمين النجارين بالحسيمة، إلى السيد المحترم مدير جريدة ثيفراز ن أريف.

تحية طيبة وبعد:

أخي المحترم: لا تتصورون مدى فرحتي وغبطتي بميلاد جريدتكم التي أتاحت لي الفرصة كي أطلع على تاريخ مدينة الحسيمة. وأعرف معطيات كثيرة ومتنوعة حول معالمها الحضارية والثقافية والعلمية.

واسمح لي أيها الأخ الكريم أن ألفت علمكم بأنني من مواليد هذه المدينة الغالية إلا أن معلوماتي حولها تبقى ضحلة، لأنني لست مؤرخا ولا باحثا مختصا، فما أنا إلا إنسان يمتهن مهنة النجارة، التي تعرف انتشارا واسعا بهذه المدينة إلى جانب كوني أمين هذا القطاع. على العموم ولكي لا أكون مطنبا فالمؤاخذة الوحيدة التي أؤاخذ جريدتكم عليها هي إغفالها لهذا القطاع الحيوي الذي يشغل مئات الأفراد ويعيل آلاف الأسر، إلى جانب إسهامه في ترويج الحركة الاقتصادية ومحاربة داء البطالة ولو بشكل نسبي، كما أود أن أشير أن النجارة فن قبل أن تكون مهنة. ومن خلال تجربتي الطويلة في الميدان، ومعاينتي لعشرات المهنيين أقول بأن هؤلاء الجنود أتقنوا هذه المهنة على الرغم من افتقارهم للتكوين العلمي الدقيق والتأطير الدائم المستمر. فأغلب هؤلاء كانوا تلامذة الإسبان، وأنت تعلم أن المستعمر لا يعلم أحدا، بل يستغل طاقات الفئات المستضعفة ويزيد من إذلالها. وإذا كان هؤلاء قد فرضوا وجودهم فإن ذلك يعود بالدرجة الأولى إلى إصرارهم وعصاميتهم التي تحدوا بها كل أشكال العراقيل و المثبطات، سواء أثناء مرحلة الاستعمار أو بعد الاستقلال، حيث أصبح عدد محلات النجارة يناهز المائتين بين التقليدي والحديث، وأعتقد بأن هذا العدد الهائل من الصناع والمهنيين والمستخدمين يستدعي اهتماما أكبر بمشاكلهم ومعاناتهم، وأعتقد بأنهم لن يجدوا آذانا تستمع إلى هذه المشاكل إلا من خلال هذه الجريدة التي أعتبرها شخصيا وساما على صدر كل حسيمي يحب مدينته.

وختاما تقبلوا مني فائق عبارات التقدير والاحترام، والسلام.

كأن شيئا لم يحدث:

نادي نسوي على أنقاض مقبرة مدينة المزمة الأثرية

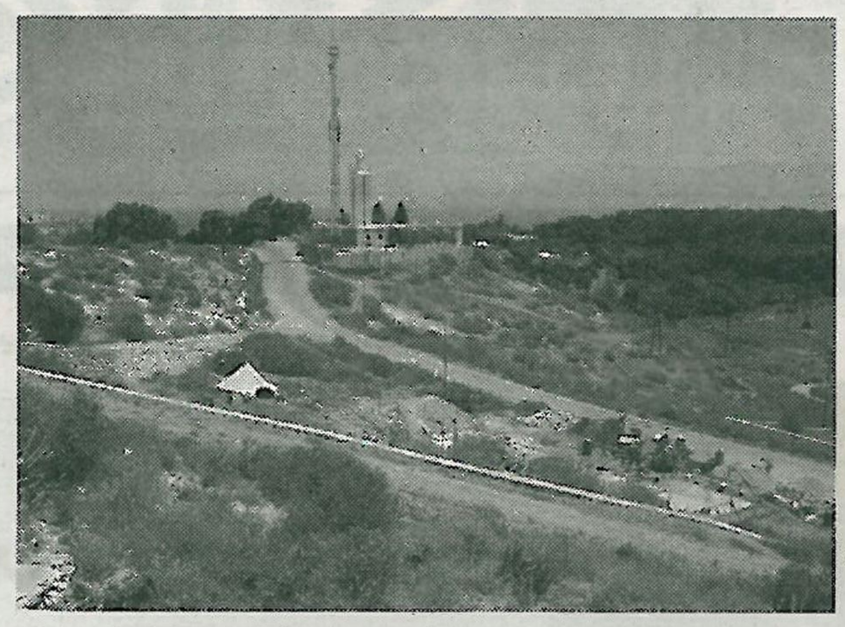

بلغنا من مصادر عليمة أن المجلس القروي لجماعة أيت يوسف وعلي بإقليم الحسيمة قد رخص للمنظمة الإسبانية M.P.D.L لبناء ناد نسوي بالمكان الذي كان مقبرة لسكان مدينة المزمة التاريخية. ويشار إلى أن نفس المجلس كان قد منح، في مناسبة ووقت سابقين، ترخيصا لشركة الإتصالات "ميديتيل" التي أقامت بمقتضاه محطة للتغطية الهاتفية بالباب المفترض لهذه المدينة.

وأمام خطورة هذين الإجراءين لا يسعنا إلا أن نتأسف على ما نعتبره طمسا جليا للمعالم التاريخية التي تشكل ملكا لكافة الشعب المغربي. إن هذه الترخيصات تفضح استرخاص المسؤولين المحليين لقيمة المواقع الأركيولوجية التي من المفترض أن تشكل، بعد تهيئتها، موردا ماديا ورمزيا يغني مالية الجماعة ورصيدها الثقافي والسياحي.

إن ما يحز بالنفس أكثر هو أن تتطاول أيدي المنظمة الإسبانية (التنموية!) على حرمات موتانا، حيث علمنا أن أعمال الحفر الأولى كشفت عن وجود و تبديد عظام بشرية يفترض أنها لأجدادنا الذين عاشوا آمنين، وماتوا ودفنوا بمدينتهم المحروسة قبل أن يبعثهم عقوق أحفادهم. وفي هذا الإطار علمنا أن المهندس المعماري محمد الشيخ (وهو من السباقين إلى التعريف بهذا الموقع الأركيولوجي المطموس) قد بعث برسالة إلى منظمة M.P.D.L اقترح فيها بقعة أخرى مجاورة للمزمة، لكن دون أن يجد الآذان الصاغية والعيون الرائية. ولا يفوتنا هنا التذكير بأن المجلس القروي للجماعة المعنية قد تلقى يوم 28-05-2001 رسالة من وزير الثقافة والإتصال (قبل بناء محطة ميديتيل) حث فيها رئاسة المجلس على إيقاف هذه الأشغال، لكن هذه الرسالة الثقافية ذهبت أدراج الريح، بدعوى أن "المحطة الهاتفية تفكك وتركب بسهولة ولن تخلق أية مشكلة أركيولوجية!". أما الآن، بعد أن امتدت الأيدي إلى موتى المسلمين وأمنهم فهذا أمر يستدعي من المسؤولين والغيورين على التراث والحضارة المغربيين العمل حالا على وقف الأشغال الجارية بمنطقة المزمة واعتبارها موقعا أركيولوجيا، والتفكير في السبل والوسائل القمينة بإبراز معالمها، من خلال وقايتها من الجرافات البليدة ومباشرة الحفريات العلمية المتخصصة، والتعريف بها في أفق جعلها وجهة للسياح المغاربة والأجانب على السواء... ولنا عودة إلى هذا الموضوع.

جماعة أيت يوسف وعلي- إقليم الحسيمة:

الأمراض 001 المحتملة

إن السكوت عما يجري في ميدان الري بالمياه الملوثة بالجماعة القروية لآيت يوسف وعلي يعد جريمة. فالكل يعلم، ومنذ عدة سنوات، أن الكثيرين من الفلاحين بالضفة اليسرى للمحيط السقوي للنكور وبسيدي بوعفيف، والذين قد يكونون غير عارفين بمدى خطورة هذه العملية، يقومون باستعمال مياه الوادي الحار، الآتية من إمزورن، في ميدان السقي. و يوجد ضمن هؤلاء منتجو الخضروات والكلأ كالفصة والذرة. فمن أجل محاربة هذه الظاهرة الخطيرة على صحة المواطنين لابد من اتخاذ اجراءات مشددة طوال السنة الفلاحية تفاديا لتفشي أمراض لا تحمد عقباها، وذلك بالسهر عل مراقبة المناطق المحتمل سقيها بهذه المياه، بتعاون بين كل من الجماعة المحلية والسلطات المحلية والإقليمية ومسؤولي الصحة العمومية والقطاع الفلاحي.

إن السكان يأملون أن تقوم هذه اللجنة بعملها على أكمل وجه، كل واحد من موقعه وبحسب اختصاصاته، وأن تضع حدا لهذه السلوكيات غير الحميدة والخطيرة.

• حسن تيتوى
(مهندس فلاحي)

نافذة على تارجيست: مدينة المستنقعات الآسنة

بين أحضان جبال الريف، على هضبة تطوقها الجبال من كل الجهات، على ضفة واد الجمعة المسماة بالتعبير المحلي "أسمار الـواد"، يوجد تجمع عمراني سمي ربما تجاوزا بمدينة تارجيست. كانت في البدء ثكنة عسكرية استعمارية لصد كل مقاومة محتملة في المنطقة بعد تكسير شوكة حركة المجاهد الأمير محمد بن عبد الكريم الخطابي، وقد نمت وكبرت بعد ذلك لتنضاف رقما إلى خريطة المدن المغربية دون أن تتوفر ولو على الحد الأدنى من الشروط التي من المفروض أن تتوفر في المدينة.

من هنا يبدأ التاريخ المنسي لهذه المدينة الموجودة على حافة النسيان. فكل من أتى صدفة أو قصدا إلى هذا الجزء من خارطة التهميش والبؤس سيقف على عالم كله تناقضات وكأن المرء يلج عوالم مختلفة لا مدينة واحدة متناغمة الأطراف. بدءا من حي المعلمين مرورا بتجزئة بئر أنزران (تجزئة حديثة العهد) والثكنة العسكرية التي تتوسط "المدينة" وصولا إلى باقي الأحياء التي تفصل "المدينة" عن الأراضي التي تستغل في أنشطة فلاحية: القاسم المشترك بين هذه الأحياء جميعها هو التهميش والفقر والبؤس. وهنا نتساءل مع المعنيين بالأمر من مسيري الشأن العام المحلي عن الوضعية الإجتماعية، البيئية، التربوية لأحياء هذه المدينة (وبالأخص حيي المعلمين والثكنة العسكرية)؟

• حي المعلمين :

من أقدم أحياء مدينة تارجيست. تم ضمه، بعد أن كان تابعا للجماعة القروية لعين بن عبو، إلى المدار الحضري لبلدية تارجيست، بعد التقسيم الترابي لسنة 1992. يفتقر لأدنى مقومات وشروط الأحياء التابعة للوسط الحضري، يمتاز بكثافة سكانية عالية ، يفتقر إلى أية تهيئة عمرانية كما يمتاز بالبناء العشوائي وغير اللائق، يغلب عليه الطابع القروي حيث أشجار الصبار والنباتات والحشائش في كل مكان، مما يخلق المجال الملائم لتراكم الأزبال والنفايات . إن ولوج حي المعلمين بدائرتيه الانتخابيتين (10 – 13) هو ولوج لمزبلة غير معلنة، حيث ترى كل السكان وهم يتخلصون من ماء الصرف الصحي بطرقهم الخاصة، وفي غالب الأحيان ما تكون على حساب الممرات العمومية وليس الشوارع، لأن حي المعلمين لا يتوفر على قرار تصفيف الطرق العامة، أطفال عراة وحفاة يتخذون من مستنقعات الماء الحار مجالا "للعب واللهو"، رجالا ونساء ينطون من ضفة إلى أخرى مخافة من أن تدنسهم المياه التي صرفوها من منازلهم، أكياس من البلاستيك مكومة تنتظر شاحنة الأزبال التابعة للبلدية التي قد تأتي أولا تأتي، وإن إتت فإن ذلك سيكون متأخرا وبعد أن تكون الكلاب قد قامت بمهمتها في إفراغ ما في جوف هذه الأكياس لتزيد الطين بلة حيث حي المعلمين Cité Instituteurs كما تمت ترجمته في مشروع تصميم التهيئة الأخير الذي لم ير النور بعد، لا تطاله أيادي عمال البلدية المكلفين بنظافة الأحياء. الشيء الذي ينذر بوجود خطر بيئي يهدد سكان هذا الهامش من هذه المدينة المهمشة، كما يهدد بانتشار الأمراض الفتاكة وبالخصوص في صفوف الأطفال الذين حرموا من المناطق الخضراء وحدائق الأطفال لتقدم لهم المستنقعات الآسنة كبديل عنها.

حي المعلمين رغم قدمه لا يتوفر على شبكة الماء الصالح للشرب ولم تزود بعض المنازل إلا في الآونة الأخيرة ، ومن استطاع إليه سبيلا. الشطر الثاني من حي المعلمين (الدائرة 13) لا يتوفر ولو على قسم واحد للتعليم الإبتدائي. حي المعلمين يتوفر على مستشار جماعي يحتل المرتبة الثانية في هرم تسلسل الوظائف داخل المجلس البلدي.

• الثكنة العسكرية:

الثكنة العسكرية، هذا الفضاء الواسع الذي يتوسط تارجيست، فكل زائر لهذه المدينة تعيده إلى ماضي بعيد، ذلك الماضي الذي نسب إلى ذلك الغريب عن الأرض. ثكنة عسكرية، أسوارها آيلة للسقوط، بنايات مهجورة باستثناء بعض البيوت الممنوعة من الترميم والتي تسكنها بعض العائلات المسجلة في سجل المهمشين والفقراء التي لا بديل لها غير هاته الكهوف التي تفتقر إلى أبسط شروط الحياة التي تحفظ للإنسان كرامته، أزبال مترامية هنا وهناك، أطفال من مختلف الأعمار، حفاة، عراة ومتسخون لا يعرفون للطفولة معنى. إن ذاكرة مدينة تارجيست مهددة بالانمحاء والموت. لست أدري لماذا في كل بقاع العالم يتم الحفاظ والاحتفاظ بالتاريخ، الاحتفاظ والحفاظ على الذاكرة إلا نحن، نريد أن ندمر كل شيء، هناك بنايات تستحق أن تكون عبارة عن : متحف، دار للثقافة ... كانت هناك كنيسة مجهزة بكل الآليات والمقومات، كانت هناك كازينوهات، حانات، كانت هناك ثقافة، كل شيء مر وخرب ولم تسلم حتى المقابر التي تحولت إلى مزبلة. إنه زمن الرداءة بامتياز. لم يبق سوى المتربصين من مضاربين عقاريين وسماسرة لاستكمال مهمة التدمير والتخريب.

أبو عصام

ثيفراز
• مدير النشر : حسن الجرموني
• رئيس التحرير : سعيد الفزواني
• هيئة التحرير: عبد المنعم الأزرق، جمال المحدالي، الحسن أسويق، عبد القادر السكاكي
• المتعاونون : محمد الداودي، رشيد الموساوي
• رقم الإيداع القانوني : 2003/0013
• ملف الصحافة : 03-1
• عنوان المراسلة : شارع المرابطين رقم 22– الحسيمة.
• الهاتف : 039982250
• الفاكس : 039980584
• رقم الحساب البنكي : 2111153601290017 البنك الشعبي. وكالة محمد الخامس – الحسيمة.
• التصفيف والإخراج : PRO-SCAN
• السحب : الطباعة المغربية السعودية
• التوزيع : سوشبريس

اليسار الاشتراكي الموحد بالحسيمة

بلاغ إخباري

انعقد يوم 25 ماي 2003، وتحت إشراف المكتب السياسي، الجمع العام التأسيسي لليسار الاشتراكي الموحد، فرع الحسيمة، وقد أسفرت نتائج الانتخابات عن تشكيلة المكتب التالي: أحمد البلعيشي: كاتبا عاما ذ.عبد القادر حاديني: نائبا له – محمد زروقي: أمينا للمال – محمد ديوبان : نائبا له – امحمد المتوكل: مقررا ذ.مصطفى المهدي : نائبا له ذ.مولود الخطابي وامحمد لشقر وعبد الحكيم الخطابي وعلي الإدريسي ومنير الهاشمي مستشارين مكلفين بمهام.

وتجدر الإشارة على أن الجمع العام التأسيسي قد أصدر في نهاية أشغاله بيانا عاما وبلاغا تضامنيا مع الصحافي علي لمرابط، من ضمن ما جاء فيه :

– ندين بشدة هذا الهجوم الذي يستهدف مجال الحريات العامة، والتضييق على حرية التعبير والصحافة.

– نطالب بإطلاق سراح الصحافي علي المرابط فورا، وتمتيعه بكافة حقوقه.

– نناشد كافة اليساريين والديموقراطيين وأحرار هذا الوطن، لتكثيف الجهود وتوحيد الفعل من أجل التصدي لكل المحاولات التي تستهدف الإجهاز على مختلف المكتسبات التي حققها الشعب المغربي بفضل تضحياته ونضالا ته."

وفي نفس الإطار تم تأسيس فرع آخر للحزب بإمزورن بتاريخ 01–06–2003، حيث جاءت تشكيلته كما يلي: عبد المجيد تدموري: كاتبا عاما–عبد الصمد أحيذار: نائبا له–جمال البوشحاتي: أمينا للمال–حسن أبركان: نائبا له–عمر أشحشاح ومحمد أسكراوي وحسين أزوكاغ: مستشارين.

●●●●

نقابة عمال الصيد البحري (فدا) بالحسيمة:

تأسيس وانتخاب المكتب المسير

توصلت الجريدة ببلاغ من نقابة عمال الصيد البحري (فدا)، أفادت فيه أن عمال الصيد البحري المنخرطين في (فدا) قد عقدوا جمعا عاما يوم 26–04–03 أسفر عن تأسيس وانتخاب المكتب المسير الذي جاءت تشكيلته كما يلي:

الكاتب العام : محمد ككوح.
نائبه الأول : محمد بوخانة.
نائبه الثاني: عبد الله أبقوي.
الأمين : سعيد بلعيش.
نائبه : ميمون بوشفيق.
المستشارون : امحمد أفقير، محمود المداحي، يوسف بوشلاغم، علي بنهادي.

●●●●

اللجنة المحلية لضحايا النجاة (الحسيمة):

وقفات احتجاجية

توصلنا ببلاغ من اللجنة المحلية لضحايا النجاة (الحسيمة) ورد فيه أن الضحايا قد نظموا وقفات احتجاجية كان أولها أمام الوكالة الوطنية لإنعاش الشغل والكفاءات يوم 21–05–03، والثانية يوم 22–05–03 أمام مندوبية التشغيل، أما المسيرة الصامتة ليوم 23–05–03 –يقول البلاغ– فقد "كان من المقرر أن تنطلق من الفضاء النقابي في اتجاه مكتب استغلال الموانئ، إلا أن قوات القمع كعادتها... نزلت مدججة بالعصي والهراوات لمحاصرة المسيرة ". وأمام ذلك –يضيف البلاغ– "نعلن للرأي العام المحلي والوطني تنديدنا بالأسلوب القمعي الذي ووجهت به مسيرة يوم 23–05–03، ورفضنا المطلق لكل أشكال المحسوبية والزبونية في التشغيل محليا ووطنيا، واستعدادنا لخوض كافة أشكالنا النضالية لانتزاع مطالبنا المادية والمعنوية."

يبدو أن المقال الذي نشرناه في العدد السابق حول قرية الأطفال SOS بإمزورن قد أثار غضب مدير هذه المؤسسة الذي بعث لنا ببيان حقيقة ننشره هنا كاملا، وتبقى للقارئ حرية التعليق:

بيان حقيقة

لقد طلعت علينا أسبوعية ثيفراز، العدد الثاني، ركن "معالم محلية" صفحة3، بمقال تحت عنوان" قرية SOS بإمزورن ترفض استقبال أطفال الأهالي!"، مع نفس العنوان بأحرف بارزة في الصفحة الأولى. وبعد أن أطلعنا على هذا المقال فإننا نفند كل ما جاء فيه جملة وتفصيلا، وبالتالي فإنه لا يمت إلى الواقع بصلة. ولا ثبات ما نقول نكتفي بما يلي:

– تستقبل قرية الأطفال SOS بإمزورن الأطفال المتخلى عنهم، الأطفال اليتامى والأطفال الذين يوجدون في حالة اجتماعية صعبة من جميع أقاليم المملكة بدون استثناء، ونفيا لما ورد في المقال فقد استقبلت من الحسيمة 15 طفلا وبنتا وجهت إلى قرية دار بوعزة وطفل إلى قرية أيت أورير، ويمكن لصاحب المقال الحضور إلى القرية للإطلاع على أحوال "أطفال الأهالي" والتأكد من وجودهم.

– تتوفر قرية إمزورن على روض للأطفال ومدرسة ابتدائية تستقبل فيهما، بالإضافة لأطفال القرية، أطفال السكان المقيمين في محيطها ويؤدي عنهم آباؤهم حاليا مبلغ 200 درهم شهريا في المدرسة و250 درهما في الروض و10% من المقاعد مخصصة لأبناء الفقراء مجانا، والقرية لا تسعى من وراء هذه العملية إلى الربح أو الثراء على حساب تعليم الأطفال الصغار بحيث أن هذه المساهمات لا تمثل سوى 40% من تكلفة التلاميذ، بل تسعى إلى تسهيل عملية الاندماج بالنسبة لأطفال القرية وتمكين الآخرين من الاستفادة من الطرق التربوية والتجهيزات التي تتوفر عليها المؤسسة.

– قرية الأطفال SOS بإمزورن مؤسسة اجتماعية غير حكومية ذات منفعة عامة تطبق وتحترم قانون الشغل الجاري به العمل في بلدنا وبذلك فإنها تختار أطرها من كل أرجاء الوطن، غير أنه ضمانا لاستقرار هذه الأطر فإنها دائما تبحث عن الكفاءات المحلية إذا ما وجدت. يشتغل حاليا بالقرية 46 شخصا منهم 23 من الحسيمة وكلهم مرسمون باستثناء الأطر التي وظفت مؤخرا والتي ما زالت فترة عملهم لا تسمح لهم بذلك، ويستفيدون كلهم من التغطيات الاجتماعية ومن امتيازات أخرى كثيرة مثل الشهر الثالث عشر وذلك قصد تحفيزهم وتشجيعهم على العمل واعترافا لهم بالمجهودات التي يبذلونها من أجل إشعاع دور مؤسستهم.

إمزورن في 31ماي 2003–06–02

الهاني مرزوق – مدير قرية الأطفال SOS بإمزورن – إقليم الحسيمة.

عين تيفراز :

في انتظار "غودو" المجلس البلدي دعه يتوقف... لا تدعه يسير

منذ أكثر من شهر، وإلى حدود اليوم، مازال هذا الثقب الناطق بئيراشمئزاز الراجلين وأصحاب السيارات الذين يمرون يوميا بشارع طارق بن زياد، أطول شارع بمدينة الحسيمة... فكفى استهانة بأمن ومشاعر المواطنين الذين مازالوا بانتظار "غودو" المجلس البلدي.

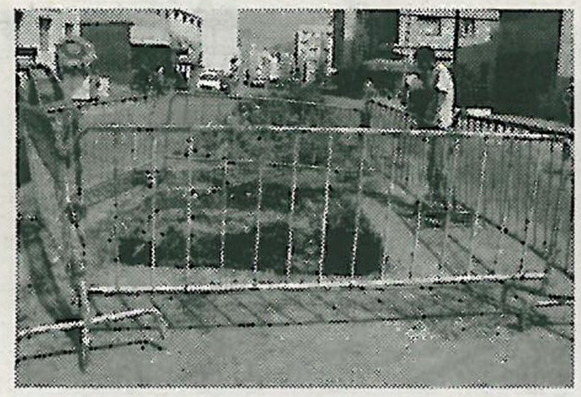

مصلحة طب الأطفال بمستشفى محمد الخامس:

راهبة إسبانية تتكفل بمصاريف عملية جراحية

تعاني مصلحة طب الأطفال، كباقي المصالح الإستشفائية بمستشفى محمد الخامس بالحسيمة، من عدة مشاكل وصعوبات تجعلها غير قادرة على أداء مهمتها على أحسن وجه، من خلال علاج المرضى ووقايتهم من الأمراض والعلل التي تهدد حياتهم.

فناهيك عن الخصاص المهول في الأدوية وحليب المرضى الرضع وغيرها من وسائل التطبيب، تشكو هذه المصلحة من ازدياد وفود المواليد المتخلى عنهم، دون توفر أية مسطرة قانونية تنظم استقبالهم، ودون وجود أية ميزانية خاصة بهم توفر لهم الدواء والمأكل و... بحيث تلد المرأة طفلها بمصلحة الولادة، ثم تذهب لحالها تاركة وراءها عنواناوهميا! فأين هو النظام؟ إنها لحقا فوضى... والغريب في الأمر أن محكمة القاصرين تضع أمام الآباء الذين يودون تبني هؤلاء الأطفال المتخلى عنهم مجموعة من العوائق والإجراءات الإدارية التي تؤدي في غالب الأحيان إلى عدول الآباء عن التبني.

وتجدر الإشارة إلى أن عدد هؤلاء الأطفال المتخلى عنهم يصل في بعض الأحيان إلى ثمانية عشرة طفلا في مصلحة تضم أربعة وأربعين سريرا، يشتغل بها فريق طبي يضم أربعة أطباء وممرضة حراسة واحدة، الأمر الذي يجعل مهمة هذا الفريق شبه مستحيلة، ولا ننسى هنا الدور الهام الذي تقوم به الأخت الإسبانية(LA HERMANA) في سد حاجيات ومستلزمات المصلحة من دواء وماكل وملبس وألعاب للأطفال، بل حتى مصاريف العمليات الجراحية أحيانا، بحيث قامت هذه السيدة الطيبة مؤخرا بسد نفقات عملية جراحية قدرها خمسون ألف درهم لفائدة طفل مريض بالقلب! فهل نحن دائما بحاجة إلى إسبانيا لحل مشاكلنا؟!

واعتبارا لهذا الوضع، أهيب بالمسؤولين لزيارة هذه المصلحة قصد الوقوف على المشاكل المزمنة التي تعاني منها، والتي تؤثر سلبا على صحة المرضى.

س.م

تعزية:

ببالغ الحزن والأسى تلقينا نبأ وفاة والد صديقنا وزميلنا رشيد راخا عضو هيئة تحرير جريدة "العالم الأمازيغي ورئيس "مؤسسة دافيد هارت للدراسات الأمازيغية". وبهذه المناسبة الأليمة يتقدم طاقم إدارة وتحرير جريدة تيفراز بأحر التعازي والمواساة إلى عائلة الفقيد وذويه، راجيا من الله أن يلهمهم الصبر والسلوان ويسكن الفقيد فسيح الجنان. وإنا لله وإنا إليه راجعون.

●●●●

مسيرة تاوادا TAWADA

يوم 21 يوليوز 2003

عقدت لجنة قاضي قدور للتنسيق بين الجمعيات الأمازيغية بالريف، اجتماعا تنسيقيا يوم : 15/05/2003 بضيافة جمعية أوسان الثقافية بميضار.

تم في مستهله الاجماع على استنكار قرار الدوائر المخزنية القاضي بإزاحة علامات المرور المكتوبة بخط تيفيناغ مع شجب محاولة استغلال هذه السلوكات من طرف بعض الجهات لأغراض انتخابوية ضيقة. وبعده تم تقييم حصيلة لقاءات اللجنة مع رئيس الكونجريس العالمي الأمازيغي، ليتركز النقاش بين مندوبي الجمعيات حول طبيعة الخطوات التنظيمية القادمة واستراتيجية العمل التنسيقي على مستوى لجنة قاضي قدور.

وبعد مناقشات مسؤولة تقرر ما يلي :

أولا: مواصلة الإعداد والتحضير لعقد المؤتمر التأسيسي "لتامونيت القاضي قدور".

ثانيا: تحديد يوم 21 يوليوز 2003 لتنظيم مسيرة تاوادا TAWADA بالريف وذلك تزامنا مع ذكرى معركة أنوال الخالدة.

ثالثا: دعوة جميع الجمعيات الأمازيغية المناضلة بالمغرب إلى المشاركة بكثافة في هذه المحطة التاريخية الهامة لمجابهة رهانات وتحديات المرحلة الراهنة.

ميضار : 15/05/2003

●●●●

جمعية الأمانة لإنعاش المقاولات الصغرى:

سلفات صغرى للمقاولين الصغار

تعلن جمعية الأمانة لعموم المقاولين الصغار بمدينة إمزورن (صناع، تجار، حرفيون...) رجالا ونساء (خياطات، طرازات...) عن بدء نشاطها الهادف إلى إنعاش مقاولاتهم عن طريق منحهم سلفات صغرى ضمن مجموعات خماسية متضامنة. وللمزيد من المعلومات المرجو الإتصال بمقر الجمعية الكائن بالعنوان التالي: 1، شارع 13 إمزورن، أمام مقر الهلال الأحمر المغربي. الهاتف:039.80.53.02.

●●●●

تماسينت

المكتب الوطني للماء الصالح للشرب يحل بتاميسنت

وقعت جماعة تماسينت بتاريخ 2003/05/05 اتفاقية لتفويت مشروع تزويد الدوائر الواقعة في تراب الجماعة بالماء الصالح للشرب بعدما كانت الجماعة هي المكلفة بالمشروع منذ بداية التسعينات. ومن شأن هذه الإتفاقية مع المكتب الوطني للماء الصالح للشرب، والتي تدخل حيز التنفيذ ابتداء من شهر ماي، تجاوز العديد من المشاكل التي كانت ترهق كاهل الجماعة نظرا لمحدودية إمكانياتها البشرية والتقنية. وقد استقبل أغلب سكان الجماعة هذا المشروع بارتياح كبير، خاصة أن هناك دواوير جديدة ستزود بالماء الشروب، كما ينتظر أن تضع حدا لشكايات البعض من الإنقطاعات المتكررة، و لما سماه البعض بالتمييز في استخلاص المستحقات لأسباب ذات علاقة بالولاءات الانتخابية.

إغلاق مركز القوات المساعدة

غادر آخر رجل للقوات المساعدة الذي كان يسهر على أمن سكان تماسنت ! ! مركز الحراسة المحاذي للجماعة، لتبقى بذلك في يد الله . ربما تكون السلطة قد تأكدت مؤخرا من السلامة الأمنية لتماسينت التي كانت معسكرا لفترات عدة، بعد أن هاجرها أهلها، الشباب خاصة، نحو الضفة الأخرى لضمان قوت يومي عوض انتظار "غودو" !

في الذكرى الثانية والثمانون لمؤتمر جبل قامة

الدكتور عمر الخطابي : إذا كنا مهمشين فذلك ما نستحقه

تخليدا للذكرى الثانية والثمانين لمؤتمر القبائل الريفية ب "أذرار ن رقامث" بتمسمان، نظمت لجنة محمد بن عبد الكريم الخطابي، إلى جانب الندوة الفكريةليوم السبت 03-05-2003 (انظر تغطية لها بالأمازيغية ص 16)، مهرجانا تكريميا بمقر مؤسسة الأمير بأجدير يوم السبت 10ماي 2003. ومن أجل الوقوف عند دلالة هذا المؤتمر في تاريخ المقاومة الريفية أعطى عمر لمعلم، الذي سيّر المهرجان، الكلمة في البداية للدكتور عمر الخطابي (نجل عبد السلام الخطابي) الذي عبر عن امتنانه لمثل هذه المناسبات التي تتيح له الفرصة للإلتقاء بأهله بالريف حول ما يرتبط بذاكرته وتاريخه ومستقبله، مشيرا إلى أنه قد عقد العزم على أن يسخر ما تبقى من عمره للمساهمة في إعادة الإعتبار للريف. مؤكدا على أنّ مؤتمر رقامث يشكل درسا في الوحدة والتضامن وفي بناء التصور المشترك والدفاع عليه ، مبينا أن التوغل الإسباني في الريف لم يكن صدفة وإنما كان بموجب اتفاقية بين المخزن وإسبانيا أبرمت بمصر سنة 1900،" وهذا الريف الذي صنع فيه أبناؤه تاريخا حافلا بالجهاد والبطولة والبسالة في مواجهة الإستعمار والظلم يحتم علينا نحن أبناء وأحفاد أولائك الذين ضحّوا بدمائهم وحياتهم، الحفاظ على ذلك التراث المشترك الذي يخلق الروابط بيننا.ذلك لأن الشعب الذي لا ماضي له ليس شعبا، والشعب الذي لايحتفظ بذاكرته وماضيه وتاريخه ليس شعبا،بل إنّ التاريخ هو الذي يخلق الشعب والشخصية والعزّة والكرامة"...وعليه، يضيف الدكتور عمر، يتعين علينا عدم الإنسلاخ عن تاريخنا". ولم يغفل الدكتور عمر في مداخلته الجسورة الإشارة إلى انّ واقع التهميش الذى يعاني منه الريف نتحمّل فيه، بصفتنا أبناء هذه المنطقة، مسؤولية جسيمة. "فإذاما كنّا مهمّشين فذلك ما نستحقّه"، ولتوضيح قصده أردف قائلاً"ولو أنّنا وقفنا، ورفعنا رأسنا، ووعينا بماضينا وتراثنا، وتوحّدنا لصياغة مشروع شامل لتنمية المنطقة ودافعنا عنها من أقصاه إلى أقصاه... حينها سينظر إلينا بعين الإعتبار، لأنهم سيدركون أنّ ما نريده ليس مجرّد أوهام أو خرافات وإنما هو حق أصحابه واعون به ويطالبون به باستماتة". ثم تناول الكلمة بعده الدكتور محمّد الطاهري الذي أثنى على ما ورد في مداخلة عمر الخطابي مبديا استعداده للمساهمة في إحياء مؤسّسة محمد بن عبد الكريم الخطابي لصيانة تراث وذاكرة الرّيف، ومؤكّدا أن أبناء الرّيف هم وحدهم القادرون على ذلك، فلا معنى لآنتظار مجيء أي أحد من الرّباط أو غيرها كي يقوم بتنمية الريف. و بصدد النتائج الميدانية المباشرة لمؤتمر "رقامث"، والمتمثلة في انتفاضة قبيلة تمسمان ضد الإستعمار الإسباني الذي مني بهزيمة نكراء في معركة أدهار أوباران، أشار الطاهري إلى أن هناك من يقول إن المجاهد عبد السّلام الخطابي هو الذي كان مدبّر تلك الإنتفاضة، وأن من كانوا يسمون بالمتعاونين من طرف الإسبان ،وهم المجنّدون من الرّيف في الجيش الإسباني، سيلعبون دورا كبيرا في تلك الهزيمة لأنهم سينقلبون ضد الإسبان، ومعرفة مثل هذه الوقائع على حقيقتها هي مسألة حيوية جدا، وأهل المنطقة هم وحدهم القادرون على الكشف عن تاريخهم في أدقّ تفاصيل وقائعه وشخوصه. وخلال هذا المهرجان التكريمي تناول الكلمة كذلك كل من جمال بن محمد الحاج سلام أمزيان والمجاهد عبد السلام ا لهاشمي الطود والأستاذ أحمد المرابط (الذي أجرينا معه بالمناسبة حوارا خاصا سينشر في أحد الأعداد القادمة)، كما تناول الكلمة أيضا الأستاذ عبد المجيد أزرياح. هذا وقد أجمع كل المتدخلين على ضرورة إحياء مؤسسة الأمير بشكل يجعلها تضطلع فعلا بمهمة تدوين ونشر التاريخ الحقيقي للريف، وبالأساس تاريخ الثورة التحررية التي قادها محمد بن عبد الكريم الخطابي،مع العمل على إعداد مشروع متكامل لتنمية الريف والإلتزام بالدفاع عنه وإنجازه، على اعتبار أن أي تنمية لن تتم ما لم تكن نابعة من الإرادة الواعية لأهاليها.

كما تخلّلت ذلك المهرجان قراءات شعرية أمازيغيّة قدّمها الشاعران القايد عبد القادر وعابد حميش. وفي الختام وزّعت اللجنة المنظمة للمهرجان التكريمي هدايا رمزية متواضعة على الضيوف، كما منحت جوائز للفائزين في المسابقات الفنية التي كانت قد أجرتها في وقت سابق.

وتعميما للفائدة نختم هذه الورقة بالقسم الذي خلص إليه مندوبو القبائل في مؤتمر "رقامث"، بحسب ما جاء في ورقة وزعت أثناء المهرجان: "هذا القسم أملاه الأمير المجاهد محمد بن عبد الكريم الخطابي على الفقيه محمد بن علي بولحيا بجبل قامة وهو ثمرة عدة اجتماعات متتالية لممثلي القبائل الريفية استعدادا لمواجهة الجيش الإسباني الغازي.

وبعد صلاة ركعتين تقدم الأمير المجاهد ووضع يده اليمنى على المصحف الكريم وأقسم جهارا ثم تلاه الزعماء الحاضرون. القسم:

1)أعاهد الله أن أدافع عن ديني ووطني وشرفي إلى الموت.

2) أعاهد الله أن ألتزم بتنفيذ الأحكام الشرعية، التي يأمر بها القرآن الكريم والسنة النبوية، ولا تأخذني في ذلك لومة لائم، ولو كانت ضد أعز أقربائي.

3) أعاهد الله ألاّ أثير الضغائن الدموية، وأنّ الثأر موضوع بين عشائرنا من هذا اليوم، ولا ضغينة بعد اليوم".

وحسب نفس الورقة فإن ممثلي القبائل الذين أدوا القسم مع الأمير كان عددهم ستة وثلاثين فردا، وقد وردوا فيها بأسمائهم.

أنجز التغطية: جمال المحدالي

جمعية ءيزوران للثقافة والفنون:

متابعة ملف جناح اللعب والترفيه بحديقة 3 مارس بالحسيمة

في إطار تخليدها لليوم الوطني للطفل(25 ماي) برمجت الجمعية أنشطة ثقافية وتربوية مختلفة تعكس مقاربة الجمعية لقضايا الطفولة، ومنها موضوع متابعة ملف جناح اللعب والترفيه بحديقة 3 مارس بالحسيمة والذي كان موضوع توصية مرفوعة إلى من يهمه الأمر بمناسبة اليوم العالمي للطفل 20 نوفمبر 2002. ولتفعيل موضوع هذه التوصية باشرت الجمعية سلسلة من الإجراءات، توجت بلقاء أولي بين أعضاء الجمعية وممثل السلطة المحلية ورئيس المجلس البلدي، والذين أكدوا أن ملف إصلاح حديقة 3 مارس يوجد قيد الدراسة وبرمجت له ميزانية من المالية العامة، كما عبروا عن استعدادهم لتفعيل البرنامج في أقرب الأوقات.

وبعد إطلاع الجمعية على موضوع هذا اللقاء، تقرر ما يلي:

- تعليق الوقفة الإحتجاجية الرمزية للأطفال المقررة ليوم 25 ماي بفضاء حديقة 3 مارس.
- تسجل إيجابية اللقاء مع المسؤولين المحليين وتطالب بالإسراع في تنفيذ الإلتزامات المتعهد بها.
- تحيي عاليا الأطفال وعائلاتهم الذين عبروا عن نضج وتفهم كبيرين للموضوع.
- استعداد الجمعية لمتابعة الملف إلى حين تحقيقه.
- المطالبة بخلق فضاءات أخرى للترفيه والتثقيف والتسلية لإعداد جيل الغد المتشبع بقيم المواطنة والتسامح والإخاء.

أفات تعليمية:

ساعات الدعم الإضافية: تسرب الرشوة إلى قطاع التعليم

بالأمس كان رجل التعليم يعيش بأجرة قليلة محافظا على رأسماله المعنوي الضامن لكرامته ومساهمته في تكوين مواطن سليم يخدم نفسه ويبني وطنه. واليوم أصبحت أسرة التعليم تعاني من ظواهر فتاكة ومخجلة تنخر هيكل المنظومة التعليمية وتضرب عرض الحائط بقيم وأخلاق وكرامة أسرة التعليم، ومن أخطرها التدريس في المنازل خارج أوقات العمل الرسمية، وهذا ما يحلو لبعض المرتزقة تسميته ب" الساعات الإضافية"، بحيث لم يعد أحد من هؤلاء الضعفاء، الذين يتهافتون وراء كسب المادة بطرق غير شرعية، يولي أي اهتمام للعمل داخل القسم (مادامت الحوالة الشهرية مضمونة حسب اعتقادهم!). إنهم يخربون بيوتهم بأيديهم، ويدفعون رجل التعليم إلى الهاوية، معتبرين هذا السلوك مفتاحا لمشاكلهم العالقة (لنتذكر هنا حرمان أبنائهم من منحة/محنة التعليم العالي وهي حق أولي).. يلتجئ هؤلاء المفسدون إلى الحلول الترقيعية المؤقتة بدل الدخول في معركة النضال من أجل الإصلاح والتقويم عبر القنوات المشروعة والعمل الجاد المتواصل. هذه الفئة تراها تنتقل من حزب إلى آخر ومن جمعية إلى أخرى ومن نقابة إلى نقابة بحسب منفعتها ومصلحتها الضيقتين، بل بين هؤلاء من لديه عدة بطاقات انخراط في أكثر من نقابة واحدة، وهذا دليل قاطع على نفاق لا يحتاج إلى توضيح..

على هؤلاء، الذين يتقاضون الرواتب الإضافية من تلاميذهم مقابل حصص "الهدم"/الدعم الخاصة، أن يعترفوا بأن هذه العملية، المخالفة للقانون والأخلاق الإنسانية، ليست حلا بقدرما هي رشوة أصبحت وصمة عار تنعت بها أسرة التعليم بكاملها. وإذا كانت هذه الظاهرة "الملعونة" تستتر كالفيروس وتنتشركالطفيليات عبر أرجاء الوطن وخاصة بالمدن الكبرى إلا أنها تظهر بشكل فاضح وواضح داخل المدن الصغيرة التي لم يتعود سكانها من قبل على هذا السلوك الزبوني. كأن لسان حال المعنيين بالأمر يقول: "إن البقاء للأقوى، فمن لديه المال من حقه أن يتابع مسيرته ومن ليس لديه فما عليه إلا أن يتخلى ويترك المشوار للأول".

ولا تنسوا أن التلاميذ أنفسهم يدينون هذه العملية اللاتعليمية ويوجهون إليكم أصابع الإتهام والخيانة لأنكم تناسيتم انتماءكم الطبقي وانسلختم عنه لتخدموا طبقة أخرى همها الوحيد هو تكوين أبنائها ليصبحوا خير خلف لها، وحتى يأتوا على آخر ما تبقى من خيرات هذه البلاد.

في ظل هذه المعطيات نستخلص السلبيات التالية:

1 – تسرب الرشوة إلى قطاع التعليم بطريقة أو بأخرى.

2 – إتلاف ما تبقى لرجال التعليم من مصداقية.

3 – تكريس الفروق الطبقية داخل المجتمع: (الإهتمام بأبناء المصالح والنفوذ وإقصاء أبناء الفقراء وتهميشهم).

4 – إبعاد روح التآخي والتضامن، والقضاء على العقلية الجماعية داخل أسرة التعليم.

5 – قتل كل ضمير حي ذي رغبة في القيام بعملية الدعم البيداغوجة داخل المؤسسات التعليمية العمومية.

6 – قطع الطريق على حاملي الشهادات الذين هم أحق بهذه المهمة (إذا سلمنا بها!) في انتظار تسوية وضعيتهم طبعا.

لقد حان الوقت لينفض كل واحد منا غبار أنانيته التي ساهم التعليم النخبوي في تمريرها وترسيخها داخل التعليم العمومي عن طريق هؤلاء المرتزقة المشكوك في شرعية تواجدهم في هذا القطاع لأن ولوجهم للتعليم "فيه إن". يجب قطع الطريق على هذه الثلة المفسدة، ومحاربة هذه الظاهرة المرتبطة بالإحباط واليأس والإتكالية، والسعي للعمل الجاد الهادف إلى خدمة المصلحة العامة داخل هذه المدينة المهمشة!! حتى ننثر غبار الإرث الثقيل المتمثل في الأمية والجهل المنتشرين في جل مناطق الإقليم، وهذا العمل هو الهدف الأسمى لرجل التعليم الغيور على مجتمعه وبلده.

وفي هذا السياق يبدو أن حنظلة قد أدار ظهره رافضا النظر في أوجه الخونة، لكنه ظل واقفا وصامدا ضد الذل والإنبطاح.. حتى تأتي ساعة الفرج. أما سارتر فقد قال: "حينما تتعفن، تنتعش الديدان...".

عبد السلام المدني

دوار امنود:

افتتاح "مدرسة.كم"

شهد إقليم الحسيمة، يوم 7 ماي 2003، مراسيم تدشين "مدرسة.كم" جديدة بدوار امنوذ التابع لجماعة النكور.

وقد جرت هذه المراسيم بحضور وزير التربية الوطنية والشباب السيد حبيب المالكي، والوفد الإسباني، ورئيس مؤسسة BMCE Bank السيدعثمان بنجلون، والممثل الدائم للأمم المتحدة بالمغرب السيد إيمانويل دييركس دوكاستيرلي، والمدير العام لوكالة التنمية الإجتماعية السيد نجيب اكديرة، ومدير البحث والتخطيط المائي بوزارة التجهيز السيد مختار بزيوي، وشخصيات بارزة مثل والي عمالة الحسيمة و شركاء آخرين ممثلين لمختلف المكاتب و لجمعيات المجتمع المدني.

وقد تميز هذا التدشين بمشاركة التلاميذ من خلال تقديمهم لعرض مسرحي باللغة الأمازيغية.

وتندرج اتفاقية الشراكة الجديدة بين "التعاونية الإسبانية" ومؤسسة BMCE Bank في إطار توسيع سياسة التعاون عبر تمويل عملية بناء وتجهيز مؤسستين تعليميتين من نوع "مدرسة.كم" بعمالتي الحسيمة والناظور.

إن تدشين هذه المدرسة يعد تجسيدا لمشروع توسيع شبكة مؤسسات "مدرسة.كم"، وهو يندرج في إطار التوجيهات السامية لصاحب الجلالة الملك محمد السادس، وخاصة في خطاب 20 غشت 1999 الذي يضع التنمية القروية ضمن الأولويات الكبرى، ويحدد الدور الهام الذي يجب أن يولى للتربية والتكوين باعتبارهما رافعتين للتنمية المستدامة.

ويشار إلى أن شبكة مؤسسات "مدرسة.كم" تغطي 15 جهة من المملكة، وقد تأسست بين سنتي 2002 و2003، وهي تستقبل حاليا حوالي 4400 تلميذا تتراوح أعمارهم بين خمس وتسع سنوات تتحمل مؤسسة BMCE Bank كامل مصاريفهم، حيث وفرت لهم فريقا تربويا مؤلفا من 188 مربيا من بينهم 40 من النساء، وقد تلقوا تكوينا بيداغوجيا يتناسب مع مهامهم التنموية والتربوية. وتعد هذه المؤسسات مدرسة مندمجة في الحياة اليومية لأطفال العالم القروي، وهي تقدم دروسها باللغات العربية والأمازيغية والفرنسية، كما تعتبر أجرأة أولية لكثير من توصيات الميثاق الوطني للتربية والتكوين.

عن وثيقة لمؤسسة BMCE

تشافريناس-بيتش يفتح أبوابه يوم 15-06-2003

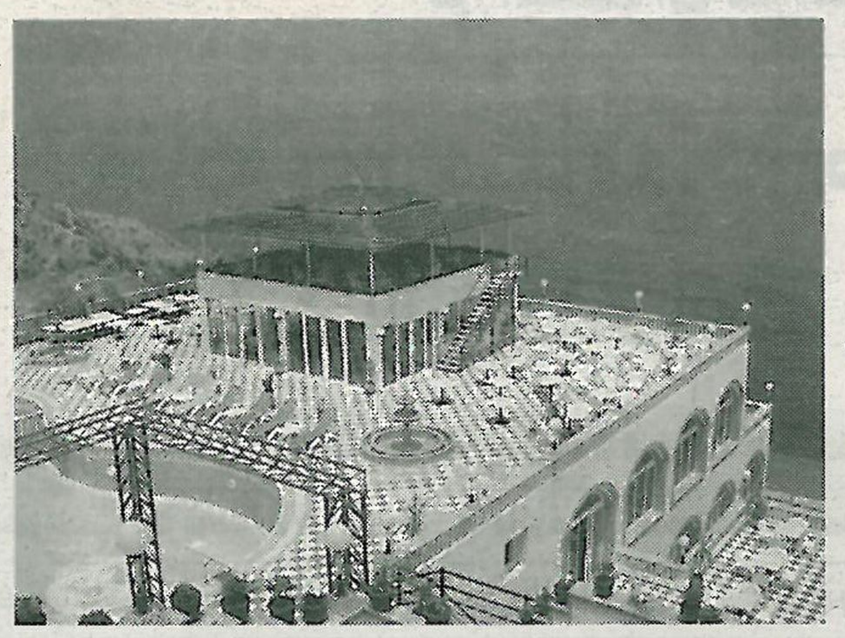

يقع المركب السياحي تشافريناس-بيتش Chafarina's Beach بالجماعة القروية لإزمورن، على بعد خمس كيلومترات من مدينة الحسيمة. وتجدر الإشارة إلى أن هذا المشروع تمت إقامته على مساحة إجمالية تبلغ 15.000م² تقريبا. أما التكلفة الإجمالية لهذا المشروع فقد بلغت حتى الآن -على لسان صاحب المشروع، رشيد المرابط- حوالي 2 مليار و 200 مليون سنتيم. وتبلغ الطاقة الإستيعابية لهذه المنشأة: 80 سرير او20 شاليهات.

أما من حيث التجهيزات فإن هذا المركب يتوفر على قاعة شاي ومطعم، وبيانو-بار، وقاعة لبناء الجسم، وقاعة متعددة الإستعمالات، ومرقص ليلي. إضافة لكل ذلك، فإن هذه المنشأة تتوفر على عدة شرفات تطل على شاطئ تلا يوسف الجميل، وثلاث ملاعب للرياضة (كرة المضرب، كرة السلة، وكرة الطائرة)، وباحة لإستراحة ولعب الأطفال، ومسبح.

وجدير بالذكر أن هذه المنشأة أعادت الإعتبار لمدينة الحسيمة، كمدينة سياحية بامتياز تفتقر لمثل هذه المشاريع التي تساهم ولا شك في تدعيم البنيات التحتية لهذه المدينة، وإخراجها من التهميش الذي تعانيه، لاسيما وأن هذا المشروع سيوفر أكثر من 50 منصب شغل. كما أنه يشكل معلمة سياحية ستساهم في جلب نسبة هامة من السياح(من الداخل والخارج على السواء) لأجل تنشيط وترويج اقتصاد المنطقة.

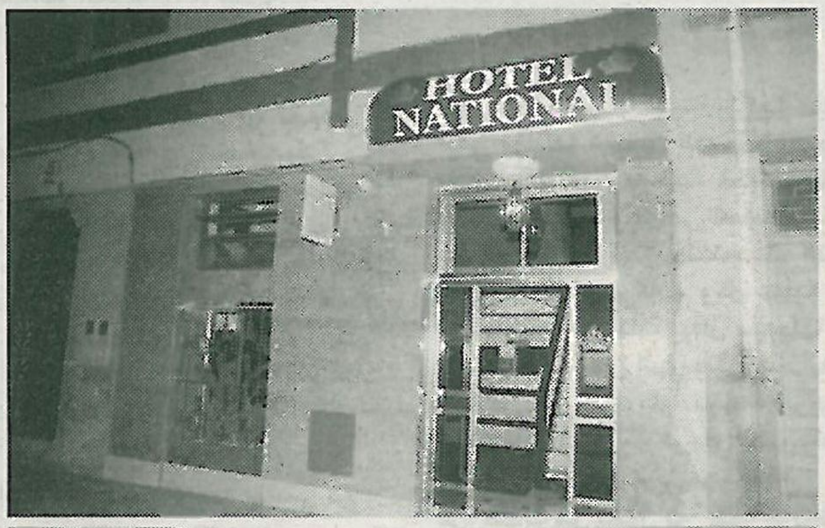

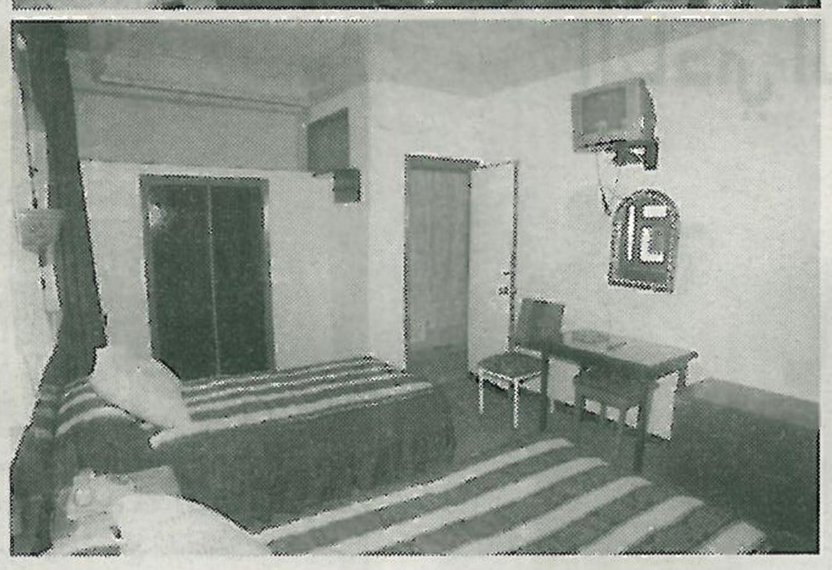

HOTEL NATIONAL
النزل الوطني

يفتح أبوابه من جديد يوم 2003-06-01

مرحبا بزوارنا ونزلائنا في أي وقت
نضع خبرتنا الطويلة رهن إشارتكم
يهمنا أن نسهر على راحتكم

إعلان للعموم

تعلن إدارة النزل الوطني، الكائن بشارع تطوان رقم 23، الحسيمة، لعموم المواطنين، أن المؤسسة بعد أن أحدثت إصلاحات جوهرية هامة منذ: 1 أكتوبر 2001.
وحيث أن هذه الأشغال والإصلاحات انتهت بصفة نهائية وأسفرت على ولادة نزل مشرف لمدينتنا، وهذه نبذة مختصرة على مكونات النزل :

- يتوفر النزل على 16 غرفة مجهزة بالتلفاز وبالوسائل الضرورية الهامة.
- يتوفر النزل على أحدث مقهى مجهزة بتجهيز مشرف بالإضافة إلى عرض الجرائد الوطنية.
- النزل مصنف تحت درجة : **

وعليه فإن إدارة النزل الوطني يشرفها أن تستقبلكم كزوار أو نزلاء في أي وقت، وتضع رهن إشارتكم كل خبرتها لخدمتكم.

تاريخ الإفتتاح هو : 01-06-2003.

الإدارة

FIDNAC

FIDUCIAIRE NORD-ACTION

△ Travaux de Comptabilité
△ Conseil Juridique et Fiscal
△ Etude & Réalisation de Projets

EL AJBARI FIKRI

94 bis, Bd. Moamed V
AL HOCEIMA

Tél. : 039 84 06 99
GSM : 066 27 98 13

في استجواب مع أستاذة "الأيروبيك" مليكة بوزعدلة :

هناك وعي متنامي في صفوف النساء بأهمية ممارسة الرياضة

رياضة الأيروبيك ليست وقفا على النساء ... ولا مجرد رقص

مليكة بوزعدلة

تعد مليكة بوزعدلة أحد الأسماء اللامعة والوجوه النسائية النشيطة في المجال الرياضي على مستوى مدينة الحسيمة. وهي تنتمي لعائلة رياضة لها بصمات موشومة في ذاكرة الرياضة المحلية (معروفة بعائلة "كينو" : كل أفرادها إناثا وذكورا، مارسوا إحدى الأصناف الرياضية)، الأمر الذي جعل الرياضة دما يسري في عروقها وجانبا مهما وأساسيا من شخصيتها ... وتشتغل، الآن، كإطار بالمندوبية الإقليمية للشبيبة و الرياضة، وأستاذة لرياضة الأيروبيك. حول مدى أهمية وانتشار هذه الرياضة الأخيرة بالحسيمة أجرينا معها هذا الاستجواب القصير .. لنقرأ :

س : نود منك، الأستاذة مليكة، أن تقدمي لقراء "تيفراز" ورقة تعريفية عن شخصك؟

ج : طبعا، إسمي الكامل : مليكة بوزعدلة من مواليد 1973 بمدينة الحسيمة، التي تابعت فيها دراستي الابتدائية والثانوية، نلت شهادة الباكالوريا في شعبة الآداب، تخصص التربية البدنية، ثم بعد ذلك اجتزت بنجاح امتحان معهد تكوين الأطر بالرباط، تخصصي هو "كرة الطائرة". ولكني هنا أشتغل حسب الحاجة (كرة الطائرة، السلة، اليد ...).

س: وبخصوص الأيروبيك ...

ج: بالنسبة لرياضة الأيروبيك، كانت بدايتي مع هذا النوع الرياضي سنة 1996.

وتجدر الإشارة إلى أن هناك العديد من الناس لايفهمون بشكل جيد معنى الأيروبيك، بحيث أن كل من فتح قاعة رياضية يمكنه وضع إسم الأيروبيك على لائحة الأصناف الرياضية التي يدخلها في اختصاصه. وهذا الأمر ليس صحيحا مطلقا. ذلك أن لهذه الرياضة قواعد وضوابط إذا لم تحترم، فإنه يصبح من العبث تسميتها بالأيروبيك.

س: إذن حدثينا عن الأيروبيك بتفصيل أكبر...

ج: نعم، ينبغي أن نعلم أن أصل الكلمة لاتينية "Aiero-bic» مركبة من شقين : Aiero تعني هواء، و bic تعني قلب. وهي رياضة اخترعها طبيب مختص في القلب من أصل يوناني. إذن، فالكلمة تفيد هواء القلب أو تهوية وإراحة القلب، لذلك، فإن أولى مزاياها تشغيل الدورة الدموية وتنشيطها. بسبب ذلك فهي صالحة لمختلف الفئات العمرية (صغار وكبار). وهي في الحقيقة رياضة تجمع ما بين الجمباز والرقص. وتعتمد على الدقة والتسلسل الكبيرين في الحركات، وكل عملية عشوائية في القيام بهذه الحركات يبطل مفعولها على مستوى الجسم. لذلك، فإن الذي يتقن هذه العمليات يجعل الممارس للأيروبيك يقوم بحصة تدريبية كاملة (لمدة 48 دقيقة) دون أن يشعر بأي تعب حقيقي، بل يحس بنشاط وحيوية كبيرين في جسمه.

س: هناك من يقول بأن هذه الرياضة عبارة عن رقص، وبالتالي هي خاصة بالنساء، هل هذا صحيح؟

ج: لا، ليس صحيحا مطلقا، فرياضة الأيروبيك هي للنساء والرجال على حد سواء. صحيح أن هناك رقص، ولكنه نوع أو جزء من الرقص. وبالطبع فالرقص ليس من اختصاص النساء فقط وإنما الرجال أيضا. إذن، فالقول أن الأيروبيك خاص بالنساء لأن فيه شيء من الرقص أمر خاطئ بالضرورة، طبعا، حركات الأيروبيك تكون دائما بموازاة إيقاعات موسيقية خاصة. وهذه العملية جيدة، في نظري، لأن الموسيقى روحية، وبالتالي يصبح هناك نوع من التكامل ما بين العالمين: المادي (الجسم) والروحي (الموسيقى).

س: ألا ترين معي أن الأيروبيك ليست رياضة شعبية. بل هي خاصة بنخبة معينة؟

ج: لا، أنا لست متفقة معك، فهذه الرياضة في متناول الجميع، نساء ورجالا، شبابا وشيبا، فقراء وأغنياء... ربما أن ممارسة هذه الرياضة على الصعيد المحلي مرتبطة بفئة معينة من النساء يبدون وكأنهن محظوظات، ولكن ينبغي أن نفهم بأن الأمر يتعلق بمستوى معين من الوعي، لأن الرياضة عندنا لاتمارس من طرف الجميع. رغم أني أؤكد بأن ثمة وعيا متناميا، خاصة في صفوف النساء، بأهمية الرياضة.

س: بخصوص هذه النقطة. هل تسمعين أو تتلقين شكاوى من بعض النساء تتعلق بمعارضة أزواجهن لممارسة الرياضة؟

ج: سأكون معك صريحا بخصوص هذه المسألة. إذا كان الأمر يتعلق بقاعة مختلطة أكيد أنه ستكون تحفظات مشروعة من طرف النساء، وبالتالي ستكون هناك معارضة واضحة من قبل الأزواج. لكني أعتقد أن هذا الأمر لايطرح مع قاعة خاصة بالنساء ومعروفة بكونها كذلك. وبالمناسبة، أؤكد لك أن ثمة مجموعة من النساء يخبرنني بأن أزواجهن ينصحنهن بممارسة الرياضة وهم يتكفلون برعاية الأطفال أثناء غيابهن. وهذا ناتج بالطبع، عن الوعي المتزايد بأهمية الرياضة، بحيث ألتقي يوميا بنساء مسنات خاصة أولئك اللواتي يعانين من مرض السكري وهن يتحدثن عن ذلك مبرزين كيف أن الرياضة تساهم في خفض مستوى تحلون الدم (لدى مرضى السكري) وإنقاص نسبة الكوليستيرول في الدم، والتخلص من الشحوم ... وما إلى ذلك. ويمكنك ملاحظة ذلك بسهولة، إذا توجهت نحو طريق «صباديا» حيث النساء، من مختلف الأعمار، يمارسن رياضة المشي على نطاق واسع.

س: ماهي طموحات مليكة بوزعدلة؟

ج: هي طموحات لاتنتهي بطبيعة الحال، لكن يبقى الجانب العلمي في الرياضة هو الذي أركز عليه أكثر في هذه المرحلة. فأنت تعرف كيف أتنقل إلى الرباط بشكل دائم من أجل دورات تكوينية (وذلك على نفقتي الخاصة طبعا)، في سبيل صقل الموهبة أكثر فأكثر. كما أتمنى أن يزداد هذا الوعي أكثر بأهمية الرياضة ليس في صفوف النساء فحسب ولكن الرجال أيضا.

س: كلمة أخيرة ...

ج: أمل أن نعمل جميعا بجدية من أجل إبراز مواهب وأبطال، في المجال الرياضي، تفتخر بها مدينتنا العزيزة. وشكرا جزيلا لجريدة «تيفراز» على انفتاحها، ونرجو لها مزيدا من التطور والتألق.

❑ *استجوبها : سعيد الغزواني*

النادي الرياضي الحسيمي: هل يحقق حلم الصعود؟

تميزت مسيرة فريق النادي الرياضي الحسيمي، خلال هذا الموسم ، بنوع كبير من الجدية والمنافسة الشديدة من أجل تحقيق حلم الصعود ، فبعد أن تم إسناد مهمة تدريب وقيادة الفريق للدولي السابق عمار، بدأت مردو دية الفريق تتحسن من مقابلة لأخرى، الشيء الذي جعل عناصر الفريق، بما فيهم الطاقم التقني والإداري، يصممون العزم على معاودة تحقيق ما كان الفريق قد حققه خلال موسم 94/93، حين تأتت له مشاركة الفرق الأخرى في القسم الوطني الثاني هواة رفقة المدرب المقتدر امحمد التهامي.

هكذا وبالرغم من المشكل المادي العويص الذي ما فتئ يعاني منه الفريق، فإن مشواره في البطولة خلال هذا الموسم يتسم بنوع من التألق والارتياح بالنظر إلى النتائج الايجابية والمرضية التي لا زال الفريق يحصدها من مباراة لأخرى.الأمر الذي يتيح للفريق فرصة التناوب على سبورة الترتيب مع فرق أخرى لها وزنها داخل البطولة.

ولعل الجمهور الرياضي الحسيمي قد انتبه إلى الإمكانيات التقنية الهائلة التي أبان عنها لاعبو الفريق داخل الميدان، وصفق لها غير ما مرة مبديا إعجابه بهذه الطاقات الواعدة التي ستقول كلمتها ولا شك في المستقبل القريب. فعلى مستوى الدفاع مثلا تكمن قوة الفريق في المدافعين الصلبين زهير الغربي وفوزي علاش اللذين يطلق عليهما لقب الحائط الحديدي، ويبدو ذلك واضحا من خلال الأهداف القليلة التي تلقتها مرماهم في أكثر من 15 مقابلة.

أما على مستوى الهجوم فإن الفريق يملك نفس المدفعية الهجومية المتمثلة في شخص هشام مشوار الملقب بالأرنب الذي يضفي نكهة خاصة على خط الهجوم بتسرباته السريعة والخاطفة التي تذهل المدافعين وتثير الخوف في نفوسهم، وهو الأمر الذي جعل أسلوب لعب الفريق يعتمد أساسا على السرعة والحيوية في تنفيذ العمليات.

أما القضية التي باتت تحير الجميع ، فهي تلك المتعلقة بالاستغناء عن بعض اللاعبين رغم مردوديتهم الواضحة خلال الحصص التدريبية .إذ بالرغم من الجهود التي يبذلونها والمؤهلات التقنية والبدنية التي يفصحون عنها ، فإن النتيجة دائما واحدة، هي: عدم الاستدعاء للمشاركة في المقابلات الرسمية .

لاشك أن الفترة الزاهية التي عاشها ومر منها الفريق كانت تلك التي عرفها خلال موسم 93 / 94، حين تمكن من معانقة لون القسم الوطني الثاني هواة ، حيث أبان ، ولمدة أربع سنوات من التباري في هذا القسم، عن مؤهلات وكفاءات عالية ووجهت من قبل الجمهور الرياضي المحلي بإعجاب منقطع النظير. فهل سيعاود فريق النادي الرياضي الحسيمي خلال هذا الموسم نفس الإنجاز السابق الذي حققه في موسم 93 / 94 أم أن المهمة تبدو صعبة هذه المرة؟

❑ *عبد الحكيم بمسعود*

عصبة الريف لكرة السلة بالحسيمة تنظم : الدوري الوطني الأول لمحمد بن عبد الكريم الخطابي

نظمت عصبة الريف لكرة السلة بالحسيمة التابعة للجامعة الملكية المغربية لكرة السلة، وبشراكة مع المجلس الإقليمي للرياضة والثقافة والشؤون الاجتماعية بالحسيمة، ما بين 03-05-30 إلى غاية 03-06-01 الدوري الوطني الأول لمحمد بن عبد الكريم الخطابي.

وتجدر الإشارة إلى أن العصب المشاركة في هذا الدوري هي أربعة :

1 - عصبة الشرق، 2- عصبة الشمال، 3- عصبة الغرب، إضافة إلى عصبة الريف. وقد شاركت هذه العصب بمنتخباتها في الفئات التي هي من مواليد سنوات (86-85-84-83).

وقد كان الإفتتاح يوم الجمعة 03-05-30 الذي تميز بنكهة خاصة حيث حج جمهور غفير إلى القاعة المغطاة 3 مارس (الملعب البلدي)، الشيء الذي أضفى على الدوري حماسا منقطع النظير. وأسفرت نتائج هذا الدوري عن فوز منتخب عصبة الريف عن جدارة واستحقاق.

القطاع الغابوي بالريف ... ناقوس الخطر!؟

تقديم :

عمدنا إلى إنجاز هذا الملف نظرا للأهمية البالغة التي بات يكتسيها القطاع الغابوي في النهوض بالتنمية في أبعادها المختلفة (السياحة، الفني البيولوجي للمنطقة....).

وجدير بالذكر أن الاحتضار الذي أمست تعيش لحظاته الخطيرة غاباتنا لاتعود أسبابه إلى الطبيعة فحسب، كما يحلو للبعض أن يؤكد دائما، وإنما إلى الإنسان في المقام الأول، لاسيما مؤسسات الدولة التي يفترض فيها تبني سياسة غابوية متوازنة تؤدي إلى حماية الغابة والاحتفاظ بها، لأن في ذلك حماية للبشر من الفيضانات والتعرية، وتنقية الهواء، وحماية المنشآت المائية من التوحل ... إلخ.

أما وقد تزامن إعداد هذا الملف مع اجتماع المجلس الإقليمي للغابات الذي يعقد دوريتين كل سنة)، فإنه لابد من الإشارة إلى أن هذا المجلس لايعير أي أهمية حقيقية للحالة المتدهورة التي يعاني منها هذا القطاع، بحيث لاتهمه من هذه الاجتماعات سوى إعداد تقارير جاهزة وإحصاء المداخيل (العقود التي تبرمها الجماعات مع بعض الشركات أو الأفراد، إضافة إلى الغرامات التي تنتزع انتزاعا من مواطنين مغلوبين على أمرهم في بني بونصار وبني احمد كما هو واضح في تقارير هذا المجلس).

وإذا كنا نحن، هنا، لاندعي ولا نملك إمكانية الإحاطة الشاملة بهذا الملف الشائك والعويص، فإننا، على الأقل، ننبه المسؤولين إلى الآثار الكارثية التي يمكن أن تنجم عن هذا العبث والإهمال "المقصود" لغاباتنا، وبالتالي دعوتهم إلى إيلاء هذا القطاع الأهمية القصوى التي يستحقها.

ولأجل تبليغ هذه الرسالة، عملنا على تقديم نظرة عامة حول المشهد الغابوي بإقليمنا، إضافة إلى الدراسة التي أعددناها حول شجرة الأرز وما تعرضت له من استغلال بشع على مراحل زمنية متعاقبة، وموضوع مرتبط بمشكلة الانجراف (بالفرنسية) التي نعد هي الأخرى من بين أخطر وأفظع المشاكل التي يعاني منها إقليمنا.

تقدر المساحة الغابوية لإقليم الحسيمة بحوالي 120.000 هكتار؛ حوالي 105.000 هكتار عبارة عن غابات طبيعية، و 19.000 هكتار عبارة عن غابات مغروسة، وهو ما يمثل 30% فقط من المساحة العامة للإقليم الذي تمثل التضاريس الجبلية، ذات البنية المعقدة و الانحدارات الشديدة، 90% من مساحته. و يأتي البلوط بأنواعه المختلفة على رأس الأنواع الغابوية السائدة في الإقليم بـــ: 62.129 هكتار، يليه الأرز بـ : 8.637 هكتار، ثم عرعر شمال أفريقيا بـــ : 4.632 هكتار ... (مونوغرافية جهة تازة الحسيمة تاونات – 2000 – ص : 49) .

ونظرا للضغوطات و التحديات العديدة و الخطيرة التي تواجهها غابات جبال الريف عموما، نتيجة لـــ : القطع الغير القانوني، التوسع المستمر للمساحات المزروعة بالكيف، الحرائق، الضغط العمراني، الجفاف...، فإن مساحاتها تتراجع – في هذه المناطق – بـــ: 20% ، أي بمساحة تقدر بـــ : 5000 هكتار/س، مع متوسط للحرائق يصل إلى 463 هـــ/س، علما بأن غابات شمال المغرب تعرف أعلى نسبة من الحرائق المسجلة على الصعيد الوطني، (عبد السلام الميموني، الاتحاد الاشتراكي – 5 يوليوز 1999) . وقد التهمت الحرائق في إقليم الحسيمة – وحده – 28,30 هـــ سنة 2000، و بلغ عددها 17 حريقا . في حين أن برامج إعادة التشجير تسير بوتيرة لا تستجيب إطلاقا للحاجيات الحقيقية للإقليم في هذا المجال، وهكذا بلغت المساحة المبرمجة لإعادة التشجير سنة 2000، مثلا، 1310 هـــكتارا فقط.

إن هذه الوضعية المختلة، هي التي تفسر تلك الظاهرة الخطيرة، التي تعاني منها جبال الريف، ألا و هي الانجراف الحاد للتربة، و الذي تبلغ أرقامه حدودا قياسية، ليس على الصعيد الوطني وحسب، إنما على المستوى العالمي كذلك؛ و هكذا تصل كمية التربة المنْجَرفة في الريف الغربي إلى 38 مليون طن/سَ، وفي تلال مقدمة الريف إلى 10 مليون طن/س. Statistiques environnementales au Maroc – Département de la prévision économique et du plan, direction de la statistique – Novembre 2002

وقد حذر من مخاطر هذه الظاهرة العديد من الخبراء، مغاربة و أجانب – و هذا منذ الستينات – خاصة خبراء مشروع التنمية الاقتصادية القروية للريف الغربي (D.E.R.R.O)، حيث أكدوا في جميع تقاريرهم «أن الانجراف – في الريف – يعم كل الجهات، و بحدة كارثية و يضع مجموع التجمعات السكانية في خطر حقيقي، و أكثر من ذلك فإن هذا التأثير السلبي يطال مجموع حوض سبو...»

إن هذه الحقيقة المرة، تجعل من الحفاظ على القطاع الغابوي، في الريف، و تنميته إحدى الرهانات التي لا غنى عنها إطلاقا في أية عملية تتوخى تحقيق تنمية حقيقية مستديمة و مندمجة في المنطقة . و هذا ما يدفعنا إلى إبداء مجموعة من الملاحظات و الاقتراحات

الأساسية حول عمليات إعادة التشجير التي تشرف على إنجازها إدارة المياه والغابات، داخل إقليم الحسيمة :

يلاحظ أن المصلحة المذكورة، ما زالت مصرة على استعمال أنواع غير محلية في عمليات إعادة التشجير (كالأكاسيا و الأوكاليبتوس) في حين أن الدراسات المتخصصة تؤكد كلها على وجوب اعتماد الأنواع المحلية الأصيلة في إعادة التشجير، كما أن هناك تعليمات من أعلى مستوى في هذا الشأن، إلا أن احترامها يبقى معلقا إلى إشعار آخر؛ فأي منطق يسمح باستعمال الأكاسيا و الأوكالبتوس في إعادة التشجير ، في حين تقصى أو تكاد، من هذه العملية، الأنواع الشجرية الأكثر تمثيلية في مشهدنا الغابوي، كالبلوط و عرعر شمال أفريقيا ؟ !

• يبدو أن هناك غياب دراسات سابقة عن عمليات إعادة التشجير، تخص التربة و المنَيِّخات من جهة، و الجوانب السوسيو-اقتصادية من جهة أخرى، للمناطق المعاد تشجيرها، و ما فشل تلك العمليات إلا تأكيد لهذه الحقيقة .

• لابد من إرفاق عمليات إعادة التشجير بعمليات أخرى، من قبيل إنشاء المصاطب و المدرجات، خاصة في الأماكن ذات الانحدار الشديد و المعرضة لتعرية مائية قوية.

• يوجد على امتداد إقليم الحسيمة أربعة مشاتل غابوية (إمزورن –إساكن – تاركيست و شقران)، و هي على قلتها لا تعمل بكامل قوتها الإنتاجية . و أكثر من ذلك، فإن عدد الشجيرات التي تنتجها هذه المشاتل عرف تراجعا حادا، حيث انتقل من 4.500.000 في بداية التسعينات إلى 1.350.000 عام 2000. و هذا لا يؤكد إلا حقيقة واحدة، هي ضعف المساحات المعاد تشجيرها، في الوقت الذي ينبغي أن تعرف ارتفاعات متزايدة . فلا بد من إنشاء مشاتل أخرى، يجب أن تكون قريبة جدا من المناطق المراد تشجيرها، حيث إن الشجيرات لا تجد بذلك، صعوبة كبيرة في النمو بعد غرسها، إذ لا تواجه مشكل التغير في التربة و المناخ . فلماذا لا يُنشأ – على الأقل – مشتل على صعيد كل جماعة، تُنْتج فيه جميع الأنواع الغابوية السائدة في تراب تلك الجماعة، حتى يتسنى إنجاز برامج تشجيرية أحسن فعالية و أفضل مردودية و أكثر حفاظا على التنوع البيولوجي ؟ !

• يلزم إجراء كل عمليا ت إعادة التشجير في أوقات مبكرة، أي مع نزول الأمطار الأولى من السنة (شهريْ أكتوبر و نونبر)، حتى تستفيد الشجيرات من الفترة الممطرة من السنة، كاملة، و تكسب بذلك القدرة على مواجهة الفترة الجافة؛ و رغم أن معظم الحملات التشجيرية تتم مبكرا، فإننا مع ذلك، نلاحظ تأخر بعضها الآخر، مما يؤدي إلى فشلها المحتوم .

• لا بد من إعادة النظر في مضمون و شكل الصفقات الخاصة بإعادة التشجير، كما يُعمل بها حاليا، فالتجارب التي سبقتنا إليها بعض البلدان المتوسطية الأخرى، مثل أسبانيا، بينت أن عملية تشجير ناجحة في منطقة ما، يجب أن تمتد على مدى ثلاث سنوات على الأقل؛ إذ يجب في كل سنة، إعادة غرس الشجيرات التي لم تتمكن من النمو ، كما يلزم تعهد الشجيرات بالسقي كلما دعت الضرورة إلى ذلك؛ و المنطق السليم يقضي أن إنجاح عملية غرس مساحات صغيرة، أفضل من غرس مساحات شاسعة، لكن من دون نتيجة تذكر .

• لا بد من أولويات فيما يخص المناطق المُراد تشجيرها، فلا يعقل – مثلا – أن تعمد إدارة المياه و الغابات إلى إعادة تشجير مناطق تتوفر على غطاء نباتي لا بأس به، لا تحتاج، في واقع الأمر، إلا إلى الحماية و التهيئة، و لا تمثل تهديدا لأية منشئة مائية، كما كان الشأن بالنسبة لـــ: ثاندا ئفران، أزرو ئزيون، و يليش ...، في حين تترك مناطق أخرى جرداء قاحلة، و ما أكثرها على صعيد الإقليم .

• إن أخطر مرض ينخر عمليات إعادة التشجير في الإقليم، هو عدم احترام المقاولين لشروط دفتر التحملات للصفقات التي يفوزون بها، و لو في حدودها الدنيا ؛ فعمق و عرض الحفر لا يُحترمان إطلاقا، و أثناء عملية الغرس عادة ما لا يكلف العمال أنفسهم و لو عناء إزالة الأكياس البلاستيكية للشجيرات، فيغرسونها بها، و عندما تكون المسالك إلى الأماكن المراد تشجيرها صعبة و السفوح شديدة الانحدار، فإن الشجيرات تُنْزع من أكياسها نزعا، و تجرد من تربتها تجريدا حتى يسْهُل حملها، فتغرس كما تغرس شتائل البصل أو الطماطم !! كما أن العديد من الحفر تترك فارغة من دون غرس ؛ و يمكن لأي كان أن يقف بسهولة تامة على هذه الخروقات الدنيئة عندما يزور أي ورش من أوراش «إعادة التشجير» في إقليمنا، وهذا ما عايناه بمرارة في بعض الحملات التشجيرية الأخيرة مثل: أذرار ئزرا، يليش، أزرو ئزيون، ثاندا ئفران.... فهل يمكن أن نفسر هذه الخروقات الضارخة بشيء آخر غير تواطأ الإدارة الوصية مع المقاولين، أو تقاعسها عن القيام بالدور المنوط بها من إشراف و مراقبة صارمين ؟ ! يجب أن نعلم جميعا أن التشجير ليس شعارات ترفع في المناسبات و لا لوحات إعلانية تنصَب على جنبات الطرقات و لا تقارير سنوية يتم إثقالها بالأرقام و الجداول، إنما هو قبل كل هذا و ذاك عملية أخلاقية يجب أن تعكس يقظة الضمير وصدق النية وبعد النظر واستشعار ثقل المسؤولية، بالنظر أولا إلى الواقع الغابوي بالريف وانعكاساته المدمرة على مستقبل المنطقة بأبعاده المختلفة، و بالنظر ثانيا إلى أن الأمر يتعلق بتصرف بأموال عامة يُفترض أن تُصرف في تنمية المنطقة وضمان مستقبل أبنائها، بدلا من التلاعب بها و اختلاسها بدون وجه حق .

• وتجب الإشارة إلى أن التشجير لا ينبغي أن يبقى حكرا على الدولة فقط، بل يمكن للخواص أن يلعبوا فيه دورا لا يستهان به، فلا بد من فتح هذا المجال أمامهم بمنحهم شروطا و امتيازات تحفيزية قصد تشجيعهم على ولوج باب هذا النوع من الاستثمار الذي لازالوا إما يجهلونه أو يتخوفون منه .

• كما أن منح الفلاحين الصغار أشجارا مثمرة كاللوز و الزيتون و الخروب بصفة منظمة و في أوقات مدروسة و محددة من السنة، (وليس في نهاية الفترة الممطرة، كما يتم حاليا) و مدهم بالدعم التقني و التأطيري اللازمين، يمكن أن يلعب دورا هاما في حماية الأراضي الفلاحية المعرضة للانجراف، و التي لا تندرج ضمن الأملاك الغابوية.

• ولا ينبغي، أخيرا، أن تفوتنا الفرصة دون الإشارة إلى ما للجماعات المحلية من دور في الحفاظ على الثروة الغابوية و تنميتها، وفق ما منحها ظهير 76 المتعلق بالتنظيم الجماعي، و الذي أعطى هامشا هاما لممثلي السكان قصد تدبير الاقتصاد الغابوي على الصعيد المحلي لكل جماعة تتوفر على رصيد غابوي، حيث حدد على الأقل 20% من حصتها في الموارد الغابوية كنفقات إجبارية محلية متعلقة بالغابة (الفصل 15 من نفس الظهير) –. و من المجالات التي حددها الظهير لهذه النفقات : تشجير الأراضي – تحسين الغابات وتنظيم استغلال المراعي الغابوية – التهيئة وغراسة الأشجار المثمرة – حماية المناظر الطبيعية...فما موقع هذا الباب من ظهير 76 ضمن اهتمامات و أولويات جماعاتنا المحلية و منتخبيها ؟ !

❑ *خالد لبحار*

محطات في تاريخ استغلال أرز الريف (*)

□ خالد لبحار

لا يجادل اثنان في كون شجر أرز الأطلس شكل عبر جميع العصور الخالية، ولا زال، العنوان والهوية لجميع جبال المغرب الكبير، المغرب الأقصى منه خاصة، ففضلا على أنه نوع مستوطِن/ Endémique و أكبر أشجار شمال أفريقيا، فإن غاباته تشكل مَحْيا/ Biotope لثروة نباتية مرافقة وأخرى حيوانية متميزة و فريدة . و قد شكل للضمانة الحقيقية و الفعلية لاستمرار التوازنات البيئية و استقرار الإنسان في هذه الجبال المعروفة بقسوة مناخها و صعوبة بنيتها .

إلا أن الاستغلال المكثف وغير العقلاني الذي طال هذا النوع من الغابات، منذ أمد ليس بالقريب، لم يعجل بقرب اندثارها وحسب بل أضحى يهدد المناطق موضوع هذه الغابات بكوارث حقيقية تتجاوز حتما، في خطورتها، البعد البيئي إلى أبعاد أخرى تنموية و استراتيجية.

فجبال الريف –مثلا– التي لا تمثل إلا أقل من 6% من مجموع التراب الوطني تعتبر مصدرا لـ : 60% من مجموع التربة المنجرفة عبر المغرب[1]، وهي من أعلى النسب على الصعيد العالمي. و المنشئات المائية التي تُقام بين أحضان هذه الجبال أو على الأنهار النابعة منها تولد شبه ميتة بفعل التوحُّل؛ فسد محمد بن عبد الكريم الخطابي الذي دُشن عام 1981 بحقينة تَسَعُ لـ: 42 مليون متر مكعب من الماء أصبح الآن لا يسَع إلا لـ : 26،600 مليون متر مكعب .

وإذا علمنا أن الأرز ينمو عادة في القمم الأكثر ارتفاعا و فوق السفوح الأشد انحدارا و التي تستقطب أكبر كمية من الأمطار و الثلوج، أدركنا حدة الانجراف الذي تتعرض له هذه الأماكن بفعل تدمير ثروتها من الأرز .

إن بحثنا هذا لا يرمي إلى تفصيل الحديث عن أرز الأطلس في مختلف جوانبه، إنما يسعى إلى معالجة جانب محدد يخص الاستغلال الذي طال هذا النوع من الأشجار في بلاد الريف من المغرب الأقصى، منذ الفتح الإسلامي وصولا إلى مرحلة الاستعمار الإسباني، وذلك في حدود ما ستسمح لنا به المصادر و المراجع التي تمكننا من الاطلاع عليها – و هي نادرة أصلا في هذا الباب– . فما هي أشكال الاستغلال التي تعرض لها أرز جبال الريف طيلة الفترة المشار إليها؟ وهل كان خشب هذا الأرز و مشتقاته يستغل محليا فقط أم إن كميات منه كانت موجهة لتصدر إلى خارج بلاد الريف، أي إلى جهات و بلدان أخرى ؟ وما هي الفترات التاريخية التي عرف فيها أرز جبال الريف الذروة في الاستغلال و التدمير أكثر من غيرها؟ لكن قبل مناقشة هذه الأسئلة الأساسية و محاولة تلمس أجوبة لها نرى أنه من اللازم الإجابة، بتركيز شديد، على أسئلة تمهيدية أساسية هي : ما هو أرز الأطلس؟. وما هي النطاقات الجغرافية و الحيْمُناخية التي يسود فيها؟ وهل هناك أنواع أخرى من الأرز معروفة عبر العالم؟. و ما هو حجم المساحات الحقيقية التي ما زالت متبقية من أرز الأطلس على امتداد مواطنه الطبيعية في شمال أفريقيا ؟ ...

التعريف بأرز الأطلس وبأنواع الأرز الأخرى :

هناك أربعة أنـواع من الأرز معروفة عبر جميع أنحاء العالم ؛ ثلاثة منها تنتشر في الحوض المتوسطي و النوع الرابع يوجد في منطقة بعيدة شيئا ما، أي في جبال الهملايا :

ا – أرز الأطلس / Cedrus atlantica manetti :

أرز الأطلس هو شجرة غابوية صمغية، مخروطية وهرمية الشكل، ذات أوراق إبرية . وكما يشير إليه اسمه فهو نوع مستوطِن يسود في جبال المغرب (الأطلسين المتوسط والكبير – جبال الريف) وجبال الجزائر(الأطلسين التلي و الصحراوي) وهو أكبر أشجار شمال أفريقيا ؛ سواء من حيث ارتفاعه (يمكن أن يتجاوز 40 مترا) أو من حيث قطر جذعه (يمكن أن يتعدى مترين) أو من حيث عمره (يمكن أن يتجاوز ألف سنة).[2]

ينمو أرز الأطلس في ارتفاعات تتراوح عادة ما بين 1300 و 3000م ، إذن فهو يتطلب محيطا مناخيا جد رطب إلى رطب (حالة أرز الريف و الأطلس المتوسط، في المغرب، و الأطلس التلي، في الجزائر، الذي يعتبر أقل قدرة على تحمل الجفاف.) أو جاف شيئا ما (حالة أرز الأطلس الكبير، في المغرب، والأطلس الصحراوي، في الجزائر، الذي يستطيع تحمل جفاف قوي خلال الصيف.)[3]

مساحات أرز الأطلس في تراجع مستمر و خطير في مواطنه الأصلية، بينما تزداد اتساعا في عدة بلدان محتضنة:

من بين ثلاثة ملايين هكتار، التي كانت تغطيها غابات الأرز عبر المغرب الكبير، لم يبق منها حاليا إلا بعض البقع المتناثرة أغلبها توجد في المغرب بمساحة تقدر بحوالي : 120،000 هكتار ؛ حوالي 15،000/هـ توجد في جبال الريف الأوسط و الشرقي (وهي في تراجع مستمر) وحوالي 98،000/هـ في الأطلس المتوسط . أما الباقي فهو عبارة عن بقع منعزلة و مبعثرة في كل من الريف الغربي و الأطلس الكبير الشرقي.[4] و تجدر الإشارة هنا إلى أن Louis emberger قدر مساحة غابات الأرز في المغرب خلال ثلاثينيات القرن العشرين بضعف مساحتها حاليا، أي بحوالي 200،000هـ.[5]

أما في الجزائر، فتقدر المساحة المتبقية بحوالي 26،000/هـ موزعة بين جبال الأطلس التلي (بليدة– ورسنيس– جرجرة– و بابورس) و الأطلس الصحراوي (جبال بلزرمة و الهدنة) حيث يضم لوحده ما يقارب 17،000/هـ ، و هو بذلك يشتمل على أكبر مساحة من غابات الأرز بالجزائر.[6]

ونظرا للقيمة الإيكولوجية و الاقتصادية لشجرة الأرز، و نظرا لوجود دلائل ملموسة على تواجدها في أوربا قبل العصر الجليدي الأخير، فقد عملت بعض الدول الأوروبية، المتوسطية خصوصا، على إعادة إدخالها إلى جبالها، و هذا منذ القرن التاسع عشر، أولا كشجرة تزيينية ثم كنوع غابوي. و هكذا فقد أدخلت إلى كل من إيطاليا و فرنسا منذ عام 1863م وإلى بلغاريا عام 1890م...

و على سبيل المثال فإن فرنسا تتوفر على أزيد من 15،000/هـ من غابات الأرز. كما أدخلت إلى كل من الاتحاد السوفياتي سابقا و إلى أمريكا الشمالية.[7]

ب – أرز لبنان / Cedrus libani : ينتشر هذا النوع في كل من لبنان وسوريا وتركيا. يتميز بأوراق أكثر دكانة و أطول شيئا ما و مخاريط/ Cônes أكبر حجما.[8] ويعتبر أرز لبنان أقدم أنواع الأرز تعرضا للاستغلال، فقد ثبت استعماله في بناء برج بابل (حوالي القرن السادس ق.م. على عهد الحضارة البابلية)، كما وظفه الفراعنة في تشييد العديد من المنشئات و في تحنيط جثث ملوكهم (باستعمال مادة القار المستخلصة من خشبه الطري)، كما يُعتقد أن الملك سليمان (القرن العاشر ق.م.) حينما بنى معبده المشهور و مدينته الملكية، اعتمد في ذلك وبشكل أساسي و بارز على خشب أرز لبنان[9]. وقد ورد ذكر هذا الأرز في أقدم ما وصلنا من نصوص مكتوبة (دينية و أدبية) ؛ حيث تواتر ذكره في معظم فصول ملحمة كلكامش[10] و في التوراة، خاصة سفر "الملوك الأوَل" . و لذلك فإن هذا النوع من الأرز يندر أكثر فأكثر في الشرق الأوسط إلى درجة أصبح يخشى عليه من الانقراض والزوال التام أكثر من غيره .

ج – أرز قبرص / Cedrus brevifolia: يعتبره المختصون نوعا مستقلا رغم أنه قريب جدا، في خصائصه المورفولوجية، من أرز لبنان. وينتشر في جزيرة قبرص الواقعة في البحر الأبيض المتوسط.[11]

د – أرز الهمالايا / Cedrus deodara: ينمو في مكان أكثر بعدا عن الأنواع السابقة أي في جبال الهيمالايا و تحديدا في الهند و الباكستان. ولذلك فهو أكثر اختلافا؛ يتميز بأوراق أكثر طولا ، و بأغصان غضة/ Tendre و مدلاة، وبشكله هذا يوصف بالأرز الباكي.

وبالنسبة لبعض العلماء المختصين فإن أرز لبنان هو نوع وسط بين أرز الأطلس و أرز الهمالايا، و ذلك ليس فقط بسبب توزيعه الجغرافي بل أيضا بسبب خصائصه المورفولوجية.[12]

أرز الريف وما تعرض له من استغلال :

كثيرة هي المصادر التاريخية التي تتضمن إشارات دالة جدا ، تؤكد ما كانت عليه غابات شمال إفريقيا من شساعة وكثافة و اتصال و جمال؛ فابن عذاري، في سياق حديثه عن البدايات الأولى لنشر الإسلام في شمال إفريقيا، يشير في كتابه "البيان" "أن إفريقية كانت ظلا واحدا من طرابلس إلى طنجة[13]" أما حسن الوزان فيذكر في مقدمة وصفه "لإقليم الريف" (أحد الأقسام الجغرافية التي قسم إليها بلاد المغرب الأقصى) في كتابه "وصف إفريقيا" (القرن السادس عشر): "وهذا الإقليم (أي الريف) أرض وعرة مليئة بجبال شديدة البرودة و مغطاة بغابات كثيرة فيها أشجار باسقة و مستقيمة تماما".[14] (ما من شك أن مؤشرِيْ الجبال الشديدة البرودة و الأشجار المستقيمة يحيلاننا على غابات الأرز).

واستنادا إلى المعطيات البيومناخية التي تميز بلاد الريف، و الشواهد التي ما تزال متبقية من الغطاء الغابوي فضلا عن الإشارات المتضمنة في جملة من المصادر التاريخية[15] ، نخلص جازمين إلى أن الأنواع الشجرية المحلية الأكثر انتشارا وبالتالي الأكثر اعتمادا – عبر جميع العصور التاريخية السابقة – في استخلاص الخشب هي: الأرز وعرعر شمال إفريقيا إضافة إلى البلوط بأنواعه المعروفة محليا.

لقد انتظمت جميع جهات بلاد الريف، منذ أواسط القرن الثاني الهجري و إلى نهايات القرن الخامس الهجري، ضمن إمارة نكور، وهي أول شكل سياسي واجتماعي و ديني عرفه المغرب الأقصى بعد ظهور الإسلام. و قد عرفت المنطقة زمن هذه الإمارة اتساعا عمرانيا [16] هاما و ازدهارا في الأبنية السلطانية والتحصينات العسكرية، كما عرف الأسطول البحري تطورا كبيرا كنتيجة طبيعية لكثافة الرواج التجاري[17] بين المراكز البحرية التابعة للإمارة من جهة و بين هذه الأخيرة و موانئ الأندلس من جهة أخرى. وكان من البديهي أن يكون لمثل هذه الأنشطة انعكاسات سلبية واضحة على الغابات التي كانت تزخر بها قمم و سفوح جبال الريف ، وبناء على هذه المعطيات، ألا يمكن القول بأن هذه الفترة هي التي شكلت المنعطف الأول فيما يخص الاستغلال الممنهج والمكثف لغابات الريف و على رأسها غابات الأرز؟

إن غابات الريف كغيرها من الغابات المغربية، والمتوسطية عموما، بدأت تتعرض للإتلاف و الاستغلال منذ أقدم العصور، ولسوء الحظ فإن هذا الاستغلال لم يكن مخصصا لتلبية الحاجيات اليومية و العادية فقط بل كان يتخذ – في أغلب الأحيان– طابعا تجاريا و تسويقيا؛ ففضلا عن الاستعمالات التقليدية للخشب في الطبخ و التدفئة و البناء، فإن الأهالي كانوا – و ما زالوا– يستعملون جذور وجذوع مختلف أنواع الأشجار (خاصة البلوط) في إنتاج فحم الخشب، كما يستعملون الخشب الطري / الأخضر لبعض الأنواع الأخرى (خاصة الأرز و عرعر شمال أفريقيا و العرعر الكادي (ثاقا) / Juniperus oxycedrus) لاستخلاص القطران/ القَارُ، كما كانوا يقومون بتقشير جذور أنواع أخرى (كالبلوط و الجوز) بعد الحفر عنها وتعريتها لاستخلاص مادة كانت تستعمل في دباغة و تلوين الجلود.[18]

كما أن سكان الريف درجوا منذ أزمنة بعيدة على اقتناء العديد من أنواع الأثاث و الأدوات المنزلية المصنوعة من خشب الأرز وكانوا يفضلونها على غيرها لصلابتها و جمالها [19] ولابد من الإشارة إلى أن تاغزوت اشتهرت منذ أقدم العصور و إلى حدود السنوات القليلة الماضية كأحد أهم المراكز المتخصصة في النجارة اليدوية المعتمدة على خشب الأرز بوجه خاص(*).

ومن جهة أخرى فإننا لا نكاد نجد منزلا تقليديا في عموم بلاد الريف يخلو من ألواح خشبية (ⵜⴰⵍⵡⴰⵜ) ومن أعمدة (ⵜⴰⵎⴰⵙⵙⴰ) وعوارض (ⵜⵉⵖⵓⵔⵉ) مصنوعة من الأرز ، فنظرا للطول والمتانة التي يجب أن تكون عليهما تلك العوارض والأعمدة خاصة ، فإنه لا يمكن الحصول عليها من ضمن جميع الأشجار المحلية إلا من شجر الأرز. كما لا تخلو المساجد العتيقة و أضرحة الأولياء في الريف من أبواب و أسقف مصنوعة في مجملها من خشب الأرز.

و قد كان هذا الخشب يصنع ثم يحمل على الدواب، انطلاقا من الجبال التي ينمو فيها الأرز، إلى مختلف أسواق بلاد الريف، وقد اختصت عائلات بالتوارث في إنتاج و تسويق هذا النوع الخشبي.[20]

ولا ينبغي أن ننسى أخيرا الحرائق التي كانت تُشْعَل عمدا في غابات الأرز و البلوط... الكثيفة للحصول على مساحات منفرجة من الأرض تُستغل إما للرعي و إما لزراعة[21] الشعير والقمح وبعض أنواع القطنيات كالعدس... ثم القنب الهندي لاحقا .

إلا أن ما يثير الانتباه أكثر، أنه بموازاة مع الاستغلال المحلي لخشب جبال الريف، فقد اشتهرت المنطقة منذ عصور عديدة – خاصة في العصور الوسيطة، بعد استقرار المسلمين في الأندلس– بتصدير الخشب إلى عدوة الأندلس؛ حيث كان ميناء مدينة بادس[22] والمراسي الطبيعية الممتدة غربه عبر ساحل غمارة (يلش، تاغزوت ء مسطاسن ، تارغا...) من أهم مراكز تصدير هذه السلعة؛ فأحمد الطاهري، في سياق حديثه عن أهمية ميناء يلش، على عهد إمارة نكورْ، يورد إشارة ضمنية لكنها قوية و واضحة إلى تصدير خشب الأرز من هذا الميناء الطبيعي و إلهام حيث يقول : "وتكمن أهمية المرسى – يقصد يلش– في دوره كمنفذ لمجموع الكتلة الجبلية المجاورة التي تحتضن إحدى أبرز مناطق إنتاج خشب الأرز بالحوض الغربي للبحر المتوسط." [23] و قد ارتبط تصدير خشب الأرز نحو الأندلس بعدة قطاعات – كالبنيان و بعض الصناعات – التي عرفت تطورا وازدهارا كبيرين إذ كانت «تنشأ به الأساطيل و يصرف في الأبنية الملوكية»[24]

و إذا أخذنا بعين الاعتبار عامل القرب الجغرافي فلن نكون مبالغين إذا ما قلنا إن خشب الأرز الذي استعمل في تشييد منشئات الأندلس، طيلة تواجد المسلمين فيها، (مساجد، قصور، متاجر، أثاث...)إنما وُسِّق كله من جبال الريف، عبر الموانئ الطبيعية الممتدة بين بادس شرقا و سبتة غربا. ولا تعوزنا الأدلة عن اشتهار أهل بادس ببيع الخشب و تصديره إلى الأندلس؛ فأبو محمد عبد الله الأوْربي يورد في كتابه :«مناقب أبي يعقوب الزهيلي البادسي» (المتوفى عام 1333م) إشارة واضحة إلى ذلك عندما قال – في سياق حديثه عن كرامات أبي يعقوب– "وحدثني جماعة من أهل بادس أن رجلا يقال له، الرايس علي، وكان يبيع في حانوت بادس(كذا) وكان مع ذلك يتَّجر في الخشب، فضعُف رأس ماله في وقت، فأعطاه رجُل من تجار الأندلس خمسة دنانير ذهبا، وقال له اشترها خشبا نجد عندك ميسرا(كذا) إذا رجعتُ من سفري إن شاء الله..." [25]. أما حسن الوزان (1554–1483)م فيذكر في معرض وصفه لمدينة بادس و موقعها ، في كتابه «وصف أفريقيا» "... و الجبال حول بادس شاهقة وعرة، فيها خشب جيد صالح لبناء السفن الشراعية لا يعيش الجبليون إلا من هذا الخشب يحملونه إلى مختلف الجهات".[26]

وفي سياق حديثه عن نفس المدينة وعن اشتهار أهلها بصناعة نوع من السفن الحربية وتجهيزها بقصد الإغارة على السفن والسواحل الأوربية، يشير مارمول كارْبخال بالاسم إلى أهم أنواع الأشجار التي كان الأهالي يتاجرون بخشبها: "وكانت الجبال المحيطة ببادس مساعدة على ذلك لكثرة ما فيها من أشجار البلوط و الفلين و الأرز، حيث إنها تُحمَل إلى أقاليم أخرى.." [27]

ولابد من توضيح أن الجبال المحيطة ببادس، المُشار إليها عند كل من الحسن الوزان و مارمول لا تعني الجبال الملامسة و القريبة منها فقط بل مجموع الكتلة الجبلَية الريفية(**)، ولعل أهم ما شجع تلك التجارة و ساعد على ازدهارها انطلاقا من مدينة بادس و المراسي القريبة إليه من الجهة الغربية – فضلا عن قرب هذه المواقع من مصادر إنتاج خشب الأرز– أن كل جبال الريف الأوسط و مرتفعات الريف الشرقي (بني خالد– بني رير– تيزيران – جبل الأرز– كتامة – تدغين – تيزي يفري...)، حيث المجالات الحيُ– مناخية لنمو الأرز، إنما كانت تحت سلطة أمراء بادس وكان سكان هذه الجبال يدفعون الخراج لأولئك الأمراء.[28] وذلك طيلة الفترات اللاحقة عن سقوط إمارة نكور و إلى حدود تخريب مدينة بادس و احتلال جزيرتها الاحتلال الأخير من قبل الإسبان عام 1564م .

وإذا علمنا أن تجار بادس كانت لهم، عبر تاريخ هذه المدينة، علاقات تجارية مع عدة بلدان و مدن متوسطية ، سواء من الضفة الشمالية أو الجنوبية، كالبندقية والإسكندرية وتونس وبيروت...[29] أمكننا القول إن خشب جبال الريف (خشب الأرز خاصة) كان يُحمل إلى أسواق خارجية أخرى غير أسواق الأندلس .

وحتى بعد طرد المسلمين من الأندلس نجد أن الإسبان والبرتغاليين – الذين احتلوا عدة مراكز على امتداد الساحلين المتوسطي و الأطلسي–، بدءا من مطلع القرن السادس عشر، استمروا في شحن و استيراد المئات من أطنان خشب أرز جبال الريف، لاستعماله في المنشئات الفاخرة داخل شبه الجزيرة الإيبيرية، بل وقد حملوه أيضا إلى أمريكا حيث وظفوه في بناء الكنائس و القصور والكاتدرائيات...[30] ومن المفيد جدا أن نعيد في هذا السياق، ذكر ما أورده الأستاذ محمد الطيبي في بحثه "المجتمع بمنطقة الريف قبل الحماية" حينما اعتبر رغبة الإيبيريين في السيطرة على الثروة الطبيعية الجيدة لخشب الأرز التي كانت تزخر بها جبال الريف والتي كانت تصدر من ميناء بادس، ضمن الاعتبارات والدوافع الحقيقية وراء سعيهم الحثيث للتوسع داخل الساحل الريفي عبر احتلالهم لعدة مراكز منها جزيرة بادس .[31]

ولا ينبغي أن ننسى أخيرا الإستغلال الذي تعرض له أرز الريف الغربي من خلال تصديره إلى تطوان(و منها، من دون شك، إلى جهات أخرى). فقد أشار A. MOULIERAS، خلال الربع الأخير من القرن التاسع عشر إلى الطريقة التي كانت تتم بها هذه العملية، حيث إن الأهالي كانوا يستعملون الأودية عندما تمتلئ ماءً خلال موسم الأمطار (وادي امطير و اورينكة) لإيصال الخشب من قمم الجبال إلى شاطئ البحر ومن ثمة ينقل إلى تطوان.[32]

ورغم كل هذا فإن أخطر استغلال، على الإطلاق، عرفته غابات الأرز (وغيرها) في الريف هو ذلك الذي شهده القرن العشرون؛ حيث تم ولأول مرة توظيف وسائل و آلات وتقنيات عصرية لم تشهد المنطقة لها مثيلا من قبل، وهكذا يمكن أن نشير إلى مرحلتين بارزتين و نوعيتين فيما يخص الاستغلال الذي عرفته غابات أرز الريف خلال القرن الماضي:

1 – مرحلة الاستعمار الإسباني (1956–1926).

2 – مرحلة ظهور مادة «الحشيش»(صمغ مستخلص من نبات القنب الهندي)، عشية سبعينيات نفس القرن.

وسنركز الحديث في هذا الموضوع على المرحلة الأولى، على أن نعود لتسليط الضوء على المرحلة الثانية في مناسبة أخرى علما بأنها ذات أهمية خاصة حيث إن الهكتارات المعدودة التي ما زالت متبقية من غابات الأرز إنما باتت تحتضر تحت ضغط هذه الزراعة الزاحفة عليها بلا رحمة.

أرز الريف و ما لحقه من استغلال على يد الإسبان (****)

"عندما يعجز المحتل عن قهر شعب ما، يقتلع أشجاره ... إن اجتثاث الأشجار من اجتثاث الشعوب..."

الكاتبة العراقية، عالية ممدوح

هناك تقديرات تفيد أن الإسبان، بفعل التجهيزات العصرية، التي أسعفهم الحظ بامتلاكها و استعمالها قبل غيرهم، كانوا يقطعون في عقد واحد نفس الحجم من الخشب الذي كان يقطعه الأهالي خلال قرن كامل من الزمان[33]. فقد تحولت مرتفعات الريف الأوسط و الشرقي خاصة (تيزي إيفري، تدغين، جبل الأرز...) في بضعة سنين إلى مصدر كبير لتصدير الخشب، نحو إسبانيا وغيرها من دول العالم، حيث كان خشب البلوط يوظف في بناء طرق السكك الحديدية، (في كل من إسبانيا و منطقة الاستعمار الفرنسي في المغرب) بينما كان خشب الأرز يستعمل في البناء و صناعة الأثاث... حتى الأنواع الشجرية النادرة جدا لم تسْلم من الاستغلال مثل "الشوح المغربي" و"شوح تازوطا" (Abies marocana A. tazaotana)، و إذا كان استغلالهما قد تأخر شيئا ما (حتى أواخر الأربعينات)، و لم يكن بنفس الحدة التي استغل بها شجر الأرز، فإن المصالح المختصة تعترف نفسها أن الأسباب في ذلك راجعة إلى صعوبة أو انعدام المسالك المؤدية إلى أماكن تواجدها، و إلى تباعد هذه الأماكن عن بعضها البعض، مما يجعل تكاليف استغلالها أعلى بكثير من عائداتها المالية.(تقرير مصلحة الغابات عن سنة 1947).[34]

و بعكس الفرنسيين، الذين كانوا يستغلون الغابات في منطقة نفوذهم بطرق أكثر عقلانية – نظرا للتجربة الكبيرة التي اكتسبوها في مجال استغلال الغابات، في الجزائر– فإن الإسبان استغلوا غابات السلسلة الريفية بطريقة بشعة لا يحكمها أي تصور استراتيجي أو خطة مدروسة تستهدف ضمان بقائها وتجددها.[35]

من الثابت جدا أن الثروات الاقتصادية للريف تعرضت لاستنزاف و استغلال فظيعين على مدى ثلاثة عقود من الاحتلال الإسباني (1926–1956)، وياتي على رأس الموارد التي شملها النهب والاستغلال الموارد ذات الأصل الغابوي فضلا عن المعادن و المنتجات البحرية و الفلاحية...

لا بد من الإشارة بداية أنه يستحيل حصر و تقييم الكمية الإجمالية من الأخشاب التي قام الإسبان بنهبها من غابات الريف، و منها خشب الأرز طبعا ، فمصلحة الغابات و الجبال التابعة لإدارة "الحماية" الإسبانية بشمال المغرب تعترف نفسها، في بعض تقاريرها السنوية، أن حجم الإنتاج الخشبي كما تبينه الإحصائيات الرسمية ، بعيد تماما عن الحجم الحقيقي ، فهو لا يمثل حتى الجزء الأكبر من الإنتاج العام الحقيقي (وهي إشارة ضمنية إلى تفشي ظاهرة الاستغلال غير القانونية)[36]. وهذا ما تؤكده شهادات بعض المواطنين ممن عايشوا الفترة الاستعمارية، حيث يعترفون أن أرباب معامل إنتاج الخشب كانوا لا يتورعون عن اقتناء الخشب المستخلص بصفة غير قانونية بأثمنة بخسة جدا – خشب الأرز و الجوز خاصة– فضلا عن الخشب الذي يحصلون عليه عبر المزادات التي كانت تقيمها مصلحة الغابات.[37]

الأرز هو النوع الشجري المحلي الذي يعطي أعلى مردود من الخشب (ما معدله : $2.6m^3$ للشجرة)، فضلا على أن خشبه هو واحد من أجود الأنواع المعروفة ؛ و لذلك فقد كان الأكثر استغلالا و بالتالي الأكثر تصديرا واستعمالا في مجالات البناء و صناعة الأثاث و النجارة عموما . و لا ينبغي أن ننسى الأشكال الأخرى لاستغلال الأرز – زيادة عن الشكل العادي المتمثل في استخراج الألواح الخشبية الجاهزة– إذ كانت تستخلص منه كميات هائلة من فحم الخشب و الحطب و القطران. وتشير الإحصائيات الرسمية الإسبانية إلى تصدير كميات مهمة من هذه المشتقات خارج بلاد الريف.(التقارير الإحصائية السنوية حول التجارة الخارجية لمنطقة الاحتلال الإسباني بشمال المغرب).

لقد شرع الإسبان في استغلال خشب غابات الريف منذ السنوات الأولى التي تلت توقيع اتفاقية الحماية؛ إلا أن هذا التصدير لم يشمل في البداية إلا الخشب الجيد لبعض الأنواع الشجرية المستوطنة (الأرز و عرعر شمال إفريقيا) وغير المستوطنة (البلوط بأنواعه، الجوز...) وعلى سبيل المثال فقد صدروا عام 1917 4600 kg من خشب الأرز و عرعر شمال افريقيا و 30522 kg عام 1918م من نفس النوع وذلك من ميناء Rio martin قرب تطوان[38] الذي احتلوه منذ عام 1913م .

وتظهر الإحصائيات الرسمية أن كميات الخشب المستوردة كانت تفوق أحيانا – لكنها قليلة– الكميات المصدرة إذ كان الخشب المنتَج محليا لا يلبي جميع المتطلبات المحلية، (انظر الجدول الأول) وكانت المصلحة المختصة بالغابات ترجع هذا العجز إلى جملة من الأسباب أهمها :

ارتفاع الطلب على الخشب أمام الأوراش التي فتحتها اسبانيا في المنطقة.

ضعف البنيات التحتية الضرورية لاستخراج كميات أوفر من الخشب المحلي (مسالك طرقية غابوية – معامل..)

كن أن نضيف إلى ذلك، التأخر الكبير نسبيا في السيطرة على مجموع بلاد الريف، بعد توقيع اتفاقية الحماية، نظرا للمقاومة التي أبداها الريفيون بزعامة محمد بن عبد الكريم الخطابي و التي استمرت إلى غاية 1926م .

لكن تجدر الإشارة إلى أن جميع الأخشاب المستوردة كانت من الأنواع الدخيلة الغير متوفرة محليا، فكان استيرادها ضروريا.

أما العقد الأخير من الاستعمار (انطلاقا من 1946 إلى عام 1965م) فقد شهد ارتفاعا صاروخيا في كميات الأخشاب المستخرجة من غابات الريف، وبالتالي ارتفاعا في الصادرات، وهو ما يعتبر ثمرة طبيعية للمجهودات الكبيرة التي قامت بها مصلحة الغابات و الجبال التابعة لإدارة الحماية قصد بلوغ كل الغابات الكبيرة و المعزولة (في الريف الأوسط و الغربي خاصة) و التي طالما أسالت لعاب المعمرين المستثمرين في مجال الخشب و النجارة (التقارير السنوية لمصلحة الغابات) و تمثلت هذه المجهودات أساسا في :

شق المزيد من المسالك الغابوية، حيث بلغ طولها الإجمالي عند حدود عام 1946م فقط 180Km.[39]

وفي نفس هذا السياق نجد أن الإسبان جعلوا من شق المزيد من المسالك الغابوية و الرفع من إنتاج الخشب أحد أهم عناصر البرنامج الذي سطروه للتخفيف من آثار المجاعة التي عمت أغلب جهات بلاد الريف عام 1945م ![40]

بناء المزيد من المراكز (Casas forestales) عبر كل الجهات الغابوية ، و التي تتولى مهمة الحراسة فضلا عن دراسة و تقييم الكميات التي تختزنها كل مساحة غابوية من خشب قابل للاستغلال وهكذا فقد ارتفع عددها من 42 وحدة عام 1944 إلى 58 سنة 1946[41].

إقامة المزيد من المعامل المتخصصة إما في الإنتاج الأولي أو في التحويل النهائي للخشب، حيث انتقل عددها من 05 في سنة 1944 (أي في مجموع منطقة الاحتلال الإسباني) إلى 07 في سنة 1947 ليصل إلى أكثر من : 10 فيما أصبح يعرف بإقليم الحسيمة لوحده (02 في إساكن – 02 في تاركيست – 01 في Zarkat ، جماعة آيث بونصار حاليا – 06 في الحسيمة المدينة).[42] (انظر الجدول الثاني).

وقد تحولت بعض المراكز العسكرية إلى مراكز متخصصة في إنتاج و توزيع الخشب كـ: Llano amario (اساكن حاليا) و تاركيست ؛ فهذه الأخيرة تحولت من مجرد معسكر لقوات الاحتلال الإسبانية، تم إنشاؤه عام 1926، إلى محطة لإنتاج وتوزيع الثروة الخشبية للجبال القريبة و المحيطة بها ، وقد بلغ إنتاج هذه المحطة من الأخشاب في عام 1945، 6000 مترا مكعبا (جلها من الأرز)، كما أن أغلب الأنشطة الاقتصادية الأخرى التي ظهرت في تاركيست كانت تعتمد بشكل أو بآخر على الخشب.[44]

وقد تطور سكان هذه البلدة نتيجة لهذه الأنشطة ليصل عددهم إلى 1283 نسمة عام 1940 فـــ : 3007 نسمة سنة 1945 ثم 6074 نسمة حسب إحصاء 1952.[45]

وبمجرد ما حقق الإسبان فائضا في إنتاج الخشب (عن الحاجيات المحلية و الإسبانية) شرعوا في تصديره إلى دول أخرى ، فضلا عن أسبانيا ومنطقة الاحتلال الفرنسي، وعلى اعتبار أن خشب الأرز كان يشكل النسبة الكبرى من مجموع الأخشاب المنتَجة (انظر الجدولين الرابع و الخامس) فقد كان على رأس الأنواع المصَدرة .

ولم يكتف الإسبان بتصديره نحو الدول الأوربية الأخرى وحسب بل أوصلوه إلى كل من الولايات المتحدة الأمريكية و المكسيك و اليابان و استراليا...[46] (انظر الجدول الثالث).

خاتمة

إذا كان اجتثاث الأشجار من اجتثاث الشعوب، كما سلف ذكره، و الشعوب إنما تستمد جُل مكونات هويتها و ملامح شخصيتها من بيئتها الطبيعية؛ فهل سيُجتث آخر ما تبقى من غابة أرز الريف و تُطمس بذلك الهوية الحقيقية لجبال الريف الشامخة وتعوَّض بهوية مستعارة و ممسوخة مسخ الكيف(***) الذي بات يزحف بلا رحمة على هكتاراتها الأخيرة ؟ !.

السنوات	الواردات	الصادرات	الفارق	% لفارق الصادرات على الواردات
1917	368108 kg (بدون واردات ميناء مليلية)	4600 kg أرز + عرعر	kg –363508	–98.75%
1918	kg 206468	30522 kg أرز + عرعر	kg –175946	–85.21%
1919	$19.00 m^3$	———	———	———
1924	kg 10547053	———	———	———
1935	$6000 m^3$	———	———	———
1939	kg 2185851	kg 4022416	kg +1836565	+45.65%
1940	kg 3580987	kg 6650860	kg +3069873	+46.15%
1942	kg 2782400	kg 440622	kg –2341778	–84.16%
1943	kg 4020769	kg 710558	–kg 3310211	–82.32%
1944	kg 2807908	kg 23880195	kg +21072288	+88.24%
1945	kg 2039974	kg 22150144	kg +20110170	+90.79%
1946	kg 2615818	kg 19642168	kg +17026350	+86.68%
1947	kg 3013880	kg 24572779	kg +21558899	+87.73%
1951	kg 1889917	kg 50837774	kg +48947857	+96.28%
1954	kg 4340623	kg 55295517	kg +50954894	+92.15%
1955	kg 2964230	kg 43795137	kg +40830907	+93.23%
1956	kg 3472959	kg 55350951	+kg 51877992	+93.73%

الجدول رقم: 1.
جدول مُقارن للصادرات و الواردات الخشبية التي شهدتها منطقة الاحتلال الإسباني في شمال المغرب، والخاصة ببعض السنوات التي تمكننا من الإطلاع على إحصائياتها التجارية (الأثاثات الخشبية متضمنة في هذه الإحصائيات). ويُظهر الجدول بجلاء تام ارتفاع الصادرات مقارنة مع الواردات، خاصة خلال السنوات الأخيرة من الاحتلال. Estadistica del comercio exterior en la zona del protectado español ، Años : 1939 –1955–1956 / Anuario estadistico de la zona del protectado español en el norte de–1943–1951–1940–1942 .1946–1947–1944–1945–Marruecos ، Años : 1942

CARPINTEROS	CALLES	ESPECIALIDAD
1- Jerónimo Martínez de la Iglesia .	Coronel Monasterio,1 - 11 . Alhucemas	- Serrería Mecánica, - Almacén de maderas .
2- Juan Antonio Garcia .	José Ántonio, 38 - 40 . Alhucemas.	- Serrería Mecánica, - Almacén de maderas, - Ebanistería .
3- David Aguinin serfaty	Pérez de Lema . Villa sanjurjo.	- Serrería mecánica .
4- Luis y LorenzoReal .	Ajdir, 1	- serrería Mecánica, - Almacen de maderas, - Aprovechamientos Forestales .
5- Luis Real Galmés	Mohamed V, 22 y 29 .	- Serrería Mecánica, - Aprovechamientos Forestales .
6- Luis Mañas	General Dolla . Alhucemas	- Serrería Mecanica, - Aprovechamientos Forestales .

الجدول رقم: 2.
جدول يضم المعامل التي أقامها المحتلون الإسبان في مدينة الحسيمة لتحويل الخشب الخام للأشجار المقطوعة من غابات الريف إلى ألواح خشبية جاهزة للاستعمال والتصدير، مع أسماء مالكيها و عناوين مقراتها و اختصاصاتها الأخرى كما أوردها : [43]

– 1951 :	ألمانيا الغربية - هولاندا - سويسرا - بريطانيا .
– 1955 :	استراليا - بلجيكا - الولايات المتحدة - بريطانيا - إيطاليا - سويسرا .
– 1956 :	ألمانيا الغربية - بلجيكا - الدانمارك - الولايات المتحدة - بريطانيا - هولاندا - إيطاليا - اليابان - المكسيك– النرويج - البرتغال - سويسرا - السويد –

الجدول رقم: 3.
لائحة البلدان التي صدرت إليها إسبانيا خشب الريف انطلاقا من موانئ : الحسيمة ، بني انصار، سبتة، تطوان... خلال سنوات : 1956–1955–1951 .
Estadistica del comercio exterior en la zona del protectado español ، Años : 1951–1955–1956.

السنة	الكمية الإجمالية للخشب المُنتَج	كمية خشب الأرز	النسبة % لخشب الأرز من مجموع الأخشاب	عدد الأشجار المقطوعة
1936	$452 m^3$	———	———	———
1937	" 2921	———	———	———
1938	" 5444	———	———	———
1939	" 5742	kg 370535	———	———
1940	" 3827	———	———	———
1941	" 7635	———	———	———
1942	" 4477	kg 70840	———	———
1943	" 7867	———	———	———
1944	" 10663	$8721 m^3$	81.78%	3269.6 شجرة
1945	" 8285	$7128 m^3$	86.03%	2672.3 شجرة
1946	" 15535	$11360 m^3$	73.12%	» 4259
1947	" 19035	$14832 m^3$	77.91%	» 5560.6
1948	" 20706	$17660 m^3$	85.28%	» 6620.9
1953	" 35395963	$18164468 m^3$	51.31%	———
1955	" 43795137	———	———	———
1956	" 55350951	———	———	———

الجدول رقم: 4.
كان خشب الأرز يشكل دوما النسبة الكبرى من مجموع الأخشاب المُنتَجة.
Anuario estadistico de la zona del protectado español en el norte de Marruecos ، Años : 1936...2948 + 1953 – 1955 – 1956 .

FORETS ET EROSION AU RIF

MUSTAPHA BENALI

I- Déboisement et ses répercussions :

Dans l'Afrique du Nord et, concrètement, au Maroc, le complexe d'arbres et arbustes que forme la forêt du Nord du Maroc est en lutte constante contre la sécheresse et le surpâturage inhérents à l'action de l'homme.

Dans notre pays, toutes les forêts connaissent et subissent, suivant les régions et l'importance de la population rurale de chaque région, des agressions diverses.

Dans le Rif , les ressources forestières sont gravement endommagées par :

- Les coupes abusives d'arbres pour l'énergie , puisqu'il s'agit d'une ressource gratuite . Ces coupes dépassent les limites et le potentiel productif de ces forêts de 50 à 600% suivant les régions !...
- Les coupes abusives pour l'approvisionnement en bois d'œuvre, surtout dans les cédraies de la région de KETAMA dans le Rif central, lus de 15% de la production nationale de bois de cèdre provient, de manière délictueuse , des forêts du Rif.
- Les coupes illégales de bois (Cèdre, Pins, Quercus) et le défrichement en vue d'étendre la culture non moins illégale de Cannabis (KIF) dans la zone humide et sub-humide du Rif (Kétama, Chawen, Bab Berred, Targuist etc)
- Le déboisement et défrichement des forêts en vue de gagner davantage d'espaces pour l'agriculture. Aucune formation végétale n'est respectée: Forêts, Matorrals, surtout les substrats et indépendamment de la pente du terrain. Les superficies transformées en terrains cultivables augmentent sans arrêt.

Par exemple: entre 1966 et 1986, en 20 ans, les forêts du Rif ont perdu 45% de leur espace naturel. A ce rythme, dans 15 ans, les forêts du Rif auront cessé d'exister .....

Une chose est sûre, le domaine forestier actuel ne représente plus que le dixième de la superficie qui serait actuellement boisée si les pratiques destructives avaient été supprimées, si les coupes, incendies et destructions par surpâturage avaient été supprimés. La majeure partie de la superficie de matorrals plantés de palmiers nains seraient sans doute recouvertes d'Oléastres, de Thuyas, de Pins et de Quercus .

Cependant, le déboisement, loin d'être éliminé, avance inexorablement et a déjà provoqué l'augmentation de l'érosion spécifique naturelle en la multipliant par plus de 20 ! avec des résultats néfastes, puisque, avec le déboisement, le défrichement et l'arrachement des sols , l'humus disparaît, le sol est moins perméable, la fertilité des sols diminue de manière drastique, le pays se dessèche , la terre s'appauvrit, se ruine et se transforme en friches et terres poussiéreuses, incultes , et en désert.

La masse forestière joue le rôle de véritable parapluie et protège le sol contre la force des pluies en retenant celle-ci, en amortissant sa chute et en lui permettant, par la suite, de retomber au sol avec un impact moindre . Elle assure ainsi l'infiltration des eaux pluviales et leur absorption progressive .

Les forêts du Rif , dans sa partie centrale et occidentale, protègent les plaines agricoles de Taza à Larache, en passant par les vallées de Sebou, Wergha et la plaine du Gharb (une des plus riches et fertiles du Maroc), contre les inondations et constituent, ou constituaient avant leur disparition massive, un rempart et un bouclier contre l'envasement des barrages et réservoirs de retenue d'eau construits sur les rivières les plus importantes telles que : Innawen, Sebou, Wergha etc. Citons, comme exemple de la disparition massive des forêts du Rif, un fait relativement récent et conséquent :

- Pendant l'hiver 1996 , après des mois de pluies intenses qui s'étaient abattues sur le Maroc et spécialement sur la région du Nord, tous les barrages des régions citées plus haut et qui étaient, avant, à seulement 15% de leur capacité, suite à de longues années de sécheresse, se trouvèrent subitement débordés. les cultures et des centaines de kilomètres de terres et plaines furent submergés et inondés, conséquence directe de la disparition totale des forêts qui couvraient les versants Sud du Rif et les collines du PRÉ-RIF.

Autres conséquences directes de la disparition de ces forêts dans le Rif :

La plupart des barrages construits pendant les années 60 et 70 se trouvent, actuellement, sérieusement menacés d'asphyxie par l'envasement, suite à l'accumulation, en grande quantité, de terres précipitées et transportées par érosion des sols limitrophes et les sols plus lointains. Citons, comme simple exemple, le barrage Mohammed Abdelkrim Khattabi. Construit en 1976 sur la rivière Nekor qui traverse le bassin de même nom, il se trouve pratiquement au stade final de son fonctionnement après à peine 25 ans de rendement et, actuellement, plus des deux tiers de sa capacité totale se trouvent engloutis sous la boue par l'envasement qui touche et entrave sérieusement le fonctionnement dudit barrage.

Si l'exploitation des ressources forestières avait commencé il y a des siècles, celle-ci était limitée et elle s'exerçait avec des moyens rudimentaires

Avec l'avènement du XX° siècle et de l'époque coloniale, deux nouvelles données commencèrent vraiment à être prises en compte :

Le poids démographique dans les montagnes de Rif s'accroît considérablement. En même temps, la pression des paysans sur les forêts s'exacerbe et s'accentue .

- L'occupation coloniale , principalement , à partir de 1928 , va poursuivre l'exploitation des forêts pour l'approvisionnement en charbon et bois pour les voies ferrées et en d'autres nécessités aux pays colonisateurs, mais sur des bases nouvelles, avec des méthodes et moyens inédits et à une échelle impressionnante et sans précédents.

II- Le déboisement et la perte des sols :

A tous ceux qui, de nos jours, décident de traverser la région montagneuse du Rif, celle-ci offre , quasi invariablement, un paysage nu, déboisé, désolé et dévasté par les dommages et actions de l'érosion. Un pays ou le matorral bas, taillis et terres incultes , ultimes formes de la dégradation des forêts, forment l'essentiel de la végétation actuelle du Rif.

Hormis, autour des lieux saints, cimetières - ci ce n'est dans le dernier coin perdu que représente la mémoire des vieux rifains- la forêt laisse quelque vestige de son ancienne extension, attestant d'époques antérieures, florissantes et glorieuses, mais, désormais et à jamais, révolues .

Spectaculaire, violente, et, sans aucun doute, plus que dans tout le reste du Maroc, l'érosion est, dans le Rif, un phénomène patent qui mine tragiquement la base de l'existence d'une vieille tradition rurale, multiséculaire et féconde.

Les chiffres avancés par un expert de la F.A.O. (B. HEUSCH) dans un rapport préparé par la mission (70 : 3) de la B.I.R.D. sont hallucinants :

- Le Rif, qui représente seulement 6% du territoire national est à l'origine de 63% de la terre érodée dans tout le pays !.

Tandis que l'Atlas , qui couvre 20% du territoire national , a un taux d'érosion de 33% de toute la terre érodée . Le reste du pays, c'est à dire, 74% du territoire national est à l'origine des 17% restants .....

Ce taux d'érosion dans le Rif est l'un des plus élevés au monde !

La région du Rif , qui , jadis , fut comparée aux «Hautes Vallées Suisses» (De Foucault, 1888 : 8-9) pour sa végétation luxuriante et exubérante, est devenue tellement dépouillée par les déboisement massifs et gravement menacée par l'extension de l'érosion, aggravée par la nature du sol et des substrats, l'intensité et la brutalité des précipitations et la forte inclinaison des versant et terrains en pente dont se caractérise tout le Rif.

Le caractère spectaculaire qu'acquiert l'érosion dans le Rif est caractérisé surtout par un régime de pluies exceptionnel (1200 à 1500 l/m² de moyenne annuelle dans le Rif central et occidental ; 900 l/m² dans le PRÉ-RIF).

Ces pluies sont concentrées en des périodes de temps assez brèves, et ont un caractère torrentiel. Abondantes et brutales, à tel point que la terre ne peut absorber toute l'eau par infiltration, c'est à dire, que l'intensité de la pluie dépasse largement l'infiltration maximale relative.

Les conséquences socio-économiques de la dégradation forestière et l'extension accélérée de l'érosion sont énormes et démesurées, non seulement dans le Rif, sinon même dans les plaines de Sebou, Lukkous, Wergha, Gharb, Saïss etc :

- Terres cultivables et arables perdues par érosion des sols . Le Maroc perd chaque année 22000 ha de terres arables .
- Envasement des barrages et réservoirs d'eau . Un exemple : La rivière Wergha - sur laquelle fut construit le plus grand barrage du Maroc, dans le but d'éviter les inondations des plaines limitrophes, lors des crues- transporte annuellement plus de 4500 T/km² de matière solide, de sédiments etc., ce qui menace d'inutilité toutes les structures fonctionnelles des barrages installés sur son cours .
- Perte des sols avec tous les préjudices que cela peut entraîner : Terrains nus, disparition de la faune et de la flore, composant essentiels de l'écosystème Rifain qui se voit, ainsi, lui-même menacé de disparition .
- Inondation des plaines et terres cultivables.
- L'embouchure de la rivière Sebou ensablée.
- Exode des populations rurales vers les grandes métropoles du pays et immigration vers l'Europe . Ces deux phénomènes sont devenus , hélas , une composante essentielle de la géographie humaine du Rif.

Le problème de la conservation des sols se pose, certes, sur l'ensemble de la vallée de Sebou et du Gharb. Cependant, le problème est capital dans le Rif et le PRÉ-RIF, où la diminution du patrimoine inné et foncier rend très précaires la survie des populations rurales.

Au Maroc , La protection doit être dirigée en premier lieu aux forêts les plus menacées, c'est à dire, celles du Souss et du Rif.

La conservation des sols, par conséquent, revêt, ici, une priorité absolue, et les solutions doivent être applicables et appliquées d'urgence et à grande échelle.

Concernant la région du Rif et sur le plan technique, le remède pourrait être simple et pratique: Il s'agit de délimiter les forêts du Rif pour que cesse toute course ou «fièvre» des terres vierges, puisque, jusqu'à présent, les paysans, au lieu de se limiter à cultiver, de manière rationnelle, les parcelles défrichées, en maintenant leur fertilité à base d'engrais et fertilisants utilisés de manière convenable et en adoptant des techniques anti-érosion, ils préfèrent épuiser la parcelle et l'abandonner pour une nouvelle parcelle vierge, fraîchement défrichée, l'exploiter, l'épuiser et ensuite, aller encore plus loin en quête de nouvelles terres au détriment de la forêt, en adoptant cette attitude comme leitmotiv de leur survie agro-pastorale et unique moyen de subsistance.

Ceci dit, il s'agit de renforcer le dialogue avec les paysans et les populations rurales, expliquer, vulgariser les notions de développement en relation avec la protection de l'environnement. Il s'agit d'associer les gens à la prise de décision en matière de développement, de projets agricoles ou forestiers, en conjonction et en commun accord, concerté, avec les différents secteurs administratifs et gouvernementaux (Tutelle, Ministère chargé des eaux et forêts, Ministère de l'agriculture etc.) et les divers acteurs de la société civile (Associations, coopératives etc.).

Il s'agit, donc, de faire comprendre à tous et à chacun que la protection du patrimoine forestier n'est pas du ressort des seuls techniciens forestiers et/ou agronomes, mais, concerne l'ensemble de la communauté qui a sa place et sa primauté dans le développement du monde rural, pour les rôles qu'elle peut jouer dans la production, la protection et le développement durable.

لائحة الإحالات و المصادر و المراجع:

(*)- يسمى هذا النوع الشجري بالأمازيغية في جبال الريف بـــ AMKUD (المكود) و له أسماء أمازيغية أخرى مثل IdKil.

(1)- La forêt marocaine (Droit Economie Ecologie) – Afrique Orient, 1988– P : 97.

(2) – محمد مونا "أهمية دراسة البيئة الحيوانية في غابات الأرز" – مجلة لبنادم (إشكالية البيئة)– ص: 353– إصدارات وزارة الثقافة، 1992. انظر أيضا:

La grande Encyclopedie du Maroc – Volume: 03 (FLORE) – P : 152–153.

(3)- Annales de la recherche forestiere au Maroc/ numéro spécial, 1997– P : 159

(4)– Annales de la recherche forestière au Maroc– P:157.

(5)- Louis Emberger- «Les arbres du Maroc et comment les reconnaitre». – Larose éditeurs, Paris, 1938 – P : 45.

(6)– Annales de la recherche forestière au Maroc– P. 157–158.

(7)– Annales de la recherche forestière au Maroc– P . 157 – Voire aussi : La grande Encyclopedie du Maroc – Volume : 03 (FLORE) – P : 154.

(8)– Oleg polunin et Barbara everard, Arbres et arbustes d'Europe 2ème édition (Delachaux et niestlé) – 1992– P : 11.

(9)– الكتاب المقدس – كتب العهد القديم. (سفر التكوين الأول) انظر أيضا: مجلة البيئة و التنمية، عدد مزدوج 28-29 (يوليوز، غشت) 2001– ص: 61–60.

(10)– فرانس السواح – ملحمة كنوز الأعماق، قراءة في : "ملحمة كلكامش" – مطابع دار العلم، 1987.

(11)– محمد مونا "أهمية دراسة البيئة الحيوانية في غابات الأرز" (مرجع سابق) – ص: 353.

(12)– Oleg polunin et Barbara everard, Arbres et arbustes d'Europe 2ème édition (Delachaux et niestlé) – 1992 – P : 11. voire aussi, Pandion (Rerista norteafricana de estudio y del medio ambiente) – Melilla – N° : 2– P : 9.

(13)– أحمد الطاهري– "بواكير العمران الحضري ببلاد تكور، بين الأركيولوجيا و التوثيق" – مجلة حوليات الريف– العدد الأول– ص: 6

(14)– حسن بن محمد الوزان المعروف بجان ليون الإفريقي– "وصف إفريقيا" – الجزء الأول، ص : 252. ترجمة: محمد حجي و محمد الأخضر

(15)– انظر مثلا : البكري، (المسالك و الممالك) ص : 90– والحميري (الروض المعطار في خبر الأقطار)– ص : 577 . (نقلا عن أحمد الطاهري، إمارة بني صالح في بلاد تكور، ص: 177).

(16)– أحمد الطاهري، "إمارة بني صالح في بلاد تكور" – مطبعة النجاح الجديدة، ن الدار البيضاء – الطبعة الأولى، 1998 – ص : 117.

(17)– نفس المرجع السابق و نفس الصفحة.

(18)– La forêt marocaine (Droit Economie. Ecologie) – Afrique Orient, 1988– P : 99.

(19)– مارمول كارباخال، "افريقيا" – الجزء الثاني، ص: 246 – ترجمه عن الفرنسية : محمد حجي، محمد زنيبر، محمد الأخضر، أحمد التوفيق. أحمد بن جلون– دار نشر المعرفة للنشر و التوزيع، الرباط 1988–1989.

(*) لا زال "النقش التاغروني" معروفا و منتشرا في أهم المدن المغربية، التي هاجر إليها حرفيو بلدة تاغزوت بالريف، كفاس و تطوان و سلا..

(20)– هذا ما أكدته لنا العديد من الروايات الشفوية، منها رواية السيد: عبد القادر أحمد حمو المصطفي، من أشتار : "تاتا" . قبيلة "بني سدات" القيم الحسيمة . المزداد حوالي عام 1915. والمنحدر من عائلة كانت تمارس مهنة التجارة التقليدية.

(21)– La foret marocaine – P : 99.

(22)– يرجح أن تأسيس هذه المدينة سابق عن الإسلام، رغم أن بعض المصادر ترجع تأسيسها إلى عام : 90م. أما تخريبها النهائي فقد كان على يد الإسبان المدعومين بعدة قوى صليبية أوربية أخرى، عام 1564م. ولم تعمر بعد ذلك.

(23)– أحمد الطاهري "إمارة بني صالح في بلاد تكور" مرجع سابق – ص : 144.

(24)– ابن سعيد "كتاب الجغرافيا" تحقيق إسماعيل العربي، بيروت 1970، ص 139 (نقلا عن أحمد الطاهري، إمارة بني صالح في بلاد تكور ص : 177.

(25)– أحمد عبد السلام البوعياشي – "حرب الريف التحريرية و مراحل التفاوض" – الجزء الأول، ص: 322– مطبعة دار أمل طنجة.

(26)– حسن بن محمد الوزان – "وصف إفريقيا" (مرجع سابق) ص: 253

(27)– مارمول كاربخال – "افريقيا" (مرجع سابق) ص : 231

(**)– إن حدود الارتفاعات القصوى التي يبلغها ارز الأطلس ذات تفاوت قليل (1800 – 1600 m) بينما الحدود الدنيا التي يمكن أن يتحدر إليها فهي أكثر تفاوتا و أقل دقة . و إذا كانت عوامل : الارتفاع و البرودة و التضريس/ Relief و الرطوبة و التساقطات، والبعد و القرب من البحر، هي المتحكمة أساسا في درجات ارتفاعاته فإن تدخل الإنسان وتأثيره يضاف كعامل حاسم في رسم وتحديد مستوياته الدنيا.

ففي الأطلس الكبير و تحديدا في منخفض جبل ISKT جنوب دمنات – الذي يقيم منه الأرز حاليا– لازالت تلاحظ هناك انواع شجرية و نباتية هي في الأصل أنواع مرافقة للأرز، منها على الخصوص : L'Alisier torminal la Pivoine.

وفي جبل تازكا/ Tazeqqa . (الواقع في الحدود بين سلسلة جبال الريف و سلسلة جبال الأطلس المتوسط) لا زلنا نلاحظ على سفحه الشمالي الغربي عينات متمزلة ومشوهة من الأرز على ارتفاع 900m . وإنا كانت أهم بقعة من الأرز في هذا الجبل تتواجد اليوم عند ارتفاع 1800 m (بالنسبة للسفح الجنوبي) و 1980 m (بالنسبة للسفح الشمالي) فإن جملة من التشجير يعود تاريخها إلى أزيد من ثلاثة عقود، قرب باب بوتيدر، عرفت نجاحا جيدا عند ارتفاع أقل انخفاضا أي عند 1500 m

كما أن Louis Emberger يشير من جهته، في كتابه الشهير، "اشجار المغرب وكيف نتعرف عليها" أنه إلى حدود الثلاثينات من القرن الماضي كان ما يزال هناك في منخفض ورغة، جنوب السلسلة الجبلية للريف بقايا متمزلة، لكنها مشوهة أيضا، من أشجار الأرز عند ارتفاع : 1170 m. حول هذه المسالة يراجع :

– Louis Emberger : Les Arbres du Maroc. et comment les reconnaitre – Larouse. éditeurs Paris. 1938 – P 47 – 48

– A. METRO : Atlas du Maroc. Notices explicatives. Section VI Biogéographie Forêts et ressources végétales. Planche N°. 19 (FORETS) – Rabat, 1958 – P 36.–PANDION (Revista norteafricana de estudio y defensa del medio ambiente) Melilla

(28)– حسن بن محمد الوزان – "وصف افريقيا" – ص: 256– 257

(29)– حسن بن محمد الوزان – "وصف افريقيا" ص: 254 – انظر أيضا: محمد الطيبي، "المجتمع بمنطقة الريف قبل الحماية" – جريدة الحدث عدد: 109 – ص: 15.

(30) Pandion (Rerista norteafricana de estudio y del medio ambiente) – Melilla – N° : 2 – P : 11.

(31)– محمد الطيبي، "المجتمع بمنطقة الريف قبل الحماية" – جريدة الحدث، عدد: 109 – ص: 15.

(32) La foret marocaine – P : 100.

(***)– قبل الخوض في موضوع الاستغلال الذي طال الثروة الغابوية للريف، و في مقدمتها ثروتنا من الأرز، على عهد الاستعمار الإسباني لا بد من الإشارة إلى موقف الأمير محمد بن عبد الكريم الخطابي من هذه الشجرة؛ حيث تؤكد بعض الروايات الشفوية التي استقيناها من منطقة كتامة (منها رواية السيد عبد القادر المصطفي الذي سبق ذكره) أن الأمير محمد بن عبد الكريم الخطابي أولى أهمية خاصة لشجرة الأرز؛ إذ عمل بالرعاية و الحماية فرض غرامة عينية (تؤدى بروؤس الماعز بعد تقويم الشجرة أو الأشجار المقطوعة) على كل شخص ثبت أنه قطع شجرة أرز. ورغم أن بعض هذه الروايات تذهب إلى أن الزعيم محمد بن عبد الكريم إنما أراد بهذا الإجراء أن يضع حدا لحالة "السيبة" و الفوضى التي كانت تسود المنطقة و يوطد في المقابل دعائم النظام و القانون، فإننا لم نتمكن– لحد الآن – من معرفة المسوغات الحقيقية لهذه العناية، أهي راجعة إلى أن الزعيم محمد بن عبد الكريم الخطابي كان يرامن على الدور الإستراتيجي الذي يمكن أن تلعبه غابات الأرز في حرب الريف التحريرية، خاصة وأننا نعلم أن أشر حبوب المقاومة بعد استسلام ابن عبد الكريم– هي تلك التي بقيت مختفئة في جبال و غابات الريف الداخلية ومنها غابات الأرز، أم أنها تنم عن وعي مبكر بالقيمة الإيكولوجية و الاقتصادية لهذا النوع من الأشجار؟

(33)– La foret marocaine – P : 95.

(34)– «MEMORIA» Alta comisaria de España en Marruecos – Año, 1947 – Imprenta del majzen – Tetuan, 1948 – P : 210.

(35)– A.METRO: Atlas du Maroc, notices explicatives, section: VI Biogéographie – Forêts et ressources végétales. Planche N° 19 (FORETS) – Rabat, 1958 – P : 36.

(36)– Anuario estadistico de la zona de protectado español en el norte de Africa. 1942 – (Madrid 1943) – P : 67.

(37)– وهو ما أكدته لنا شهادة السيد : عبد القادر أحمد حمو المصطفي

(38)– Bultin oficial de la zona de influencia española en marruecos, 1918 – P : 471 – 928.

(39) – Anuario estadistico de la zona de protectado español en el norte de Africa. 1947 – (Madrid,1948) – P : 85.

(40)– "قحط في المغرب، معركة الحنطة في المنطقة" (أي منطقة الاحتلال الإسباني في شمال المغرب)–مطبعة المخزن، تطوان. 1946. ص: 10.

(41)– Anuario estadistico (…), 1947 – P : 84.

(42)– Anuario estadistico (…), 1947 – P : 80.

(43)– PLÁCIDO RUBIO ALFARO –«ALHUCEMAS EN MI RECUERDO». – Malaga. Marzo. 1992 – P :239–240.

(44)– PÁCIDO RUBIO ALFARO –« ALHUCEMAS EN MI RECUERDO». – P : 69

(45)– PÁCIDO RUBIO ALFARO – «ALHUCEMAS EN MI RECUERDO». – P :68 / Bultin oficial. Año : 1952 (1er trimestre) – P : 269. / Anuario estadistico (…) 1942 – P : 24.

(46)– المحلي– 1955–1956– Imprenta del majzen. Tetuán 1951 – كل من :

– ساهم في هذا البحث، كل من :

* مصطفى بنعلي، من خلال ملاحظاته و مشاركته في ترجمة النصوص الإسبانية والفرنسية.

* الحسين القلعي، من خلال مساهمته في جمع الروايات الشفوية حول استغلال الأرز بمنطقة كتامة قبل وخلال المرحلة الاستعمارية

الإيديولوجيا و السياسة العملية:
دراسة في حرب الريف في المغرب 1921-1926

(3/3)

- ريتشارد بينيل -

• ترجمة : محمد الداودي

تقديم المترجم

هذا المقال دراسة في حرب الريف من الزاوية السياسية والإيديولوجية، حيث يحاول فيه الكاتب ريشارد بينيل البحث في الخطوط العامة للحركة التي تزعمها الأمير محمد بن عبد الكريم الخطابي محللا أسباب التوجه السلفي أو الإسلامي في فكر المجاهد الخطابي خاصة و في حركة حرب الريف بشكل عام. و يعتبر الكاتب هذا التوجه براغماتيا أكثر مما هو مبدئي، إذ أن تبني الخطابي لأفكار ذات طابع إصلاحي إسلامي أملته حسب رأي الكاتب ظروف سياسية و اجتماعية معينة. لكن الكاتب في تحليله يبدو أنه يفصل حركة المقاومة في الريف - على الأقل كما كان يتصورها زعيمها- عن الحركة العامة للتحرر في العالم الإسلامي مع مطلع القرن العشرين. ولذلك فرغم أنه يقر بأهمية مستوى التنظيم السياسي والاجتماعي والعسكري الذي وصلته المقاومة في الريف، إلا أنه يبدو وكأنه عاجز عن استيعاب الزخم الإستثنائي لحركة هذه المقاومة و أسبابه (مثلا إذا أخذنا بعين الإعتبار ذلك التطور النوعي الذي تجسد في توحيد القبائل حول المقاومة، وهو شيئ كان عسير التصور قبل تلك الفترة)، وهذا القصور قد يكون ناجما عن إسقاط مفاهيم تحليلية لا تلامس بالضرورة طبيعة المجتمع الريفي وخصوصيته الثقافية. يتضح ذلك مثلا من خلال التفسير المشوه الذي يعطيه لمجموعة من الأحداث في الريف أثناء الحرب و خاصة فيما يتعلق بأسباب وحجم الصراع بين عبد الكريم وبعض الزوايا وكذلك تعامل السكان والقبائل مع النظام الاجتماعي والاقتصادي الجديد الذي سنه المجاهد الخطابي. (انظر مثلا مقاله Law، Order and the Formation of Women and Resistance an Islamic Resistance to European Colonialism: the Rif 1921- 1926 المنشور في مجلة Revue d'histoire maghrebine 43/44، 1981)، و كذلك مقاله to Colonialism in Morocco: the Rif 1916 -1926 المنشور في مجلة Journal of African History عدد 28، 1987.)

الشيوخ والشرفاء

أعلن بن عبد الكريم في مقابلة "المنار" بأنه لقي معارضة من طرف الشيوخ والشرفاء لأسباب إيديولوجية. إلا أنه من الواضح أن ذلك ليس صحيحا، لأن بعض الشيوخ أصبحوا موظفين في إدارته، كما ساهم آخرون في توسيع حركته خارج الريف[52]. بيد أن أعضاء جد مهمين من الأرستقراطية الدينية التقليدية كانت تعارضه بالفعل، وقد برزت هذه المعارضة كما صرح بن عبد الكريم نفسه في "المنار"، عندما حاول الحصول على أملاك الحبوس (الأوقاف) لدعم تكاليف الحرب. هذه إشارة إلى أن المال والسلطة وليس الإيديولوجية هما اللذان كانا على المحك.

وكمثال على هذا الصراع حول الحبوس نجد حالة الطريقة الدرقاوية التي كان مقرها في قبيلة بني زروال في أمجوت على مشارف الجنوب الغربي للريف، وبالتحديد على حدود المنطقة الفرنسية. وقد كان لهذه الزاوية نفوذ مهم داخل الريف، مما ولد قلقا عند بن عبد الكريم حول إمكانية توجيه هذه القوة ضده. فارسل في شتنبر 1923 ممثلين إلى بني زروال محاولا إقناعهم بالإنضمام إلى الريفيين. وعندما رفضوا، أرسل قوات لمحاربتهم. في نفس الوقت كان القايد (الريفي) في القبيلة المجاورة "مرنيسة مشغولا بمصادرة أملاك الحبوس هناك، وعندما بدأت ثورة ضد بن عبد الكريم، لقيت مساندة من طرف زعيم الطريقة الدرقاوية عبد الرحمان الدرقاوي الذي كان قلقا حول مصير ممتلكاته من الحبوس[53]. وقد أخمد التمرد، إلا أن عبد الرحمان استغل المشاكل الاقتصادية العويصة لقبائل غمارة في الشمال لدعم ثورة أخرى هناك. وقد كانت هذه الثورة على درجة من الخطورة والحدة بحيث اضطرت الريفيين إلي تجميد الحملة ضد الدرقاوي[54]. لكن تمت السيطرة على أمجوت بعد ذلك من طرف القوات المحلية (تحت القيادة الريفية) في أثناء الهجوم على منطقة الحماية الفرنسية، ثم تم إحراق الزاوية.

مثال آخر للصراع على السلطة تجلى في الموقف من أحد شرفاء الجبالة وهو مولاي أحمد الريسوني الذي يرجع نسبه إلى مولاي عبد السلام بن مشيش، الذي يعد أحد الوجوه البارزة في تاريخ الإسلام المغربي، ويعد قبره في بني عروس وهي قبيلة الريسوني مركزا للحج. إن المكانة الدينية الرفيعة التي كانت عائلة الريسوني تحظى بها ليست السبب الوحيد وراء أهمية هذا الشخص، إذ أنه كان حسب تقديراته هو نفسه واحدا فقط من أصل 15000 حفيدا منتسبا لمولاي عبد السلام[55]. لقد أتت قوته الحقيقية من نجاحاته في الماضي كقاطع طريق في بوادي الشمال الغربي قبل الحماية، وقد اضطر ذلك العديد من السلاطين إلى تعيينه على رأس السلطة المحلية[56]. كانت هذه القوة على المحك في صراعه مع بن عبد الكريم، رغم أنها لم تكن همه الوحيد. لقد كان للريسوني أيضا توجه إيديولوجي قائم على تكريس النظام السياسي التقليدي الذي كان فيه للشرفاء دور الزعامة الطبيعية للمجتمع، وبالمقابل - على الأقل نظريا - حققوا نوعا من المسؤولية تجاه السكان أو الناس العاديين. وكما صرح الريسوني لكاتبته روسيتا فوربز "إنه من واجبنا حماية الناس، لأنهم يقدسون مقامنا"[57]. وهكذا فقد كانت ثمة ثلاث أرضيات للصراع مع الريفيين: أولا الخطر الذي كان يهدد مركزه الشخصي، ثانيا الاختلاف التام حول تصور طبيعة المجتمع الإسلامي (النظام التقليدي مع حكم محلي للشرفاء في مقابل وطن موحد تحت حكومة مركزية تستمد حكمها من الشريعة)، وأخيرا الأصل الدوني لابن عبد الكريم الذي لم يكن شريفا ولا مرابطا (أمرابض)، بل إبنا لقاض صغير[58]. لم تكن هذه الإعتبارات تهم بن عبد الكريم كثيرا، لأنه طلب المساعدة من الريسوني عدة مرات[59]، إلا أن طلبه قوبل بالرفض. وقد بدأ الصراع الفعلي عندما سيطرت القوات الريفية في أواخر سنة 1924 على الجبالة عشية انسحاب الإسبان. وقد عينوا على الفور قضاة من اختيارهم، خاصة من الأشخاص المعروفين بكراهيتهم للريسوني، وبدأوا في مصادرة أملاك الحبوس. رفض الريسوني الاستسلام، وقبل أن يقبض عليه قامت ثورة في كبرى قبائل الجبالة (أخماس)، فأمدها بالأسلحة على الفور. وقد أخمد الريفيون هذه الثورة بسرعة إلى حد ما (وبشدة كذلك) ثم تفرغوا للريسوني. وفي الأيام الأخيرة التي سبقت هزيمته كانت ثمة مراسلات بينه وبين بن عبد الكريم ذات طابع حاد، تبنى فيها الطرفان مواقف إيديولوجية واضحة وعلنية. كان الريسوني يتهم

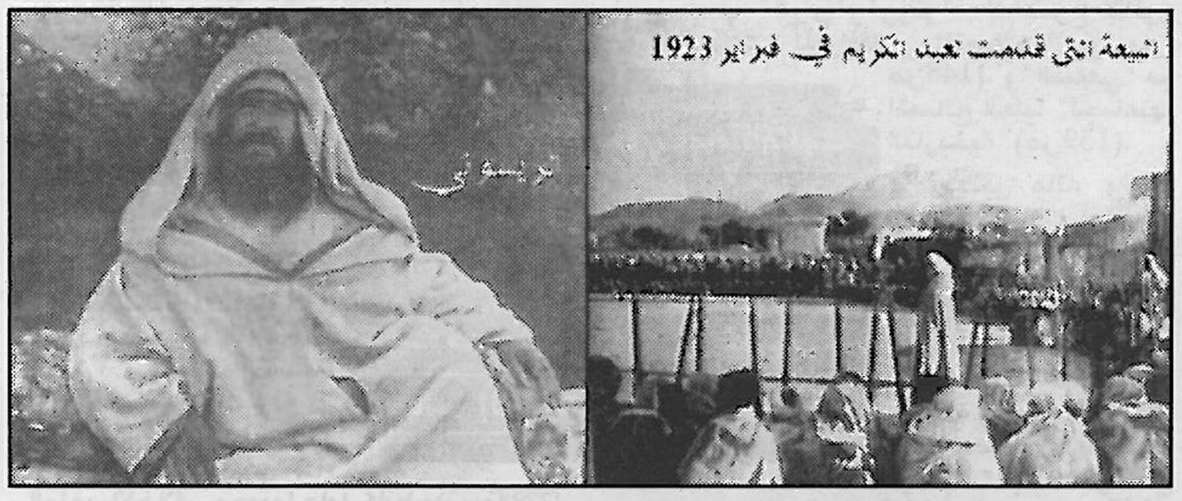

بن عبد الكريم بعدم اكتراثه للقانون وبالمس بأملاك الحبوس. كان هذا الموقف تعبيرا عن الصوت المحافظ الذي أعلن أن الدفاع عن الإسلام يدعو إلى الحفاظ على النظام الاجتماعي القديم وتكريس الزعامة الدينية التقليدية، وأن هذا الاعتبار هو الأكثر أهمية، وليس الاستقلال السياسي. وكان بن عبد الكريم يرد بأن الريسوني كان هو الذي خرج عن خط الشريعة لأنه تعاون مع المسيحيين من أجل الحفاظ على سلطته[60]. كان الجدال قائما إذن على رؤيتين مختلفتين تماما لطبيعة المجتمع الإسلامي. فبالنسبة لابن عبد الكريم كان الاستقلال عن المسيحيين أولى الأولويات، بينما رأى الريسوني ضرورة الحفاظ على النظام الاجتماعي التقليدي، مع فكرة المسؤولية المتبادلة بين الشرفاء والسكان.

كما رأينا، فإن بن عبد الكريم قد استطاع أن يدع الاعتبارات الإيديولوجية جانبا، بل حتى أنه طلب من الريسوني الانضمام إليه. إن جوهر المشكلة لم يكمن في أن الريسوني كان شريفا، بل كان شريفا معارضا لابن عبد الكريم. كان الصراع إذن حول السلطة. وكان ذلك السبب نفسه الذي أدخل بن عبد الكريم في معارك ضد زعامات غير دينية كعمر بن حميدو من قبيلة مرنيسة. فقد رفض بن حميدو الذي كان له تاثير مهم بين القبائل الصغرى في جنوب الريف، رفض منذ البداية أن يأتمر بسلطة بن عبد الكريم، و قد بدأ في سنة 1924 ثورة مهمة في الريف الجنوبي أعاقت بشكل كبير جهود بن عبد الكريم في التعامل مع عبد الرحمان الدرقاوي. ولم يهزم نهائيا حتى غشت 1924 عندما هرب إلى منطقة الحماية الفرنسية[61]. يتضح هنا بجلاء أن الصراع لم يكن حول الايديولوجية بل كان حول السلطة.

انطلاقا مما سبق، وخلافا لما عبر عنه بن عبد الكريم في "المنار"، يمكننا أن نستنتج بأن الصراع الرئيسي الذي واجهه مع الزعامات الدينية وغير الدينية كان صراعا حول السلطة والمال. غير أنه ليس كافيا مقاربة هذه المعارضة من زاوية الزعامات الفردية فقط، إذ أننا بذلك نتجاهل المستوى العالي للمعارضة الشعبية ضد بن عبد الكريم والحكومة الريفية ككل.

معارضة بن عبد الكريم على مستوى القاعدة

تكتسي الأسباب التي دفعت الناس العاديين إلى الثورة ضد الحكومة الريفية أهمية أساسية. من الطبيعي إذن أن يكون عبد الرحمان الدرقاوي والريسوني في أوج خطرهما على الريفيين عندما تعاونا مع الناس العاديين الذين قاموا بثورات عديدة في مناطق قريبة لهما. لم تكن هذه الانتفاضات ناتجة عن اهتمام بطبيعة الدولة الإسلامية، بل عن قضايا سياسية واقتصادية مباشرة. فقد اندلعت انتفاضة في غمارة سنة 1924 كنتيجة للظروف الاقتصادية المزرية في المنطقة، إذ منع الريفيون كل نشاط تجاري مع المراكز الإسبانية على الساحل. وكانت الضرائب جد مرتفعة، كما وقع نقص في إمدادات الملح، وفرضت الخدمة العسكرية. وفي مارس 1924 قامت بعض القبائل بانتفاضات تم إخمادها. لكنها عادت لتنتفض عندما أعلن بن عبد الكريم عن ضرورة تجريد جميع القبائل من السلاح. وكانت هذه هي الثورة التي ساندها عبد الرحمان الدرقاوي[62].

أسباب مشابهة أدت إلى ثورة الأخماس سنة 1924. لقد ساهم سكان هذه القبيلة بقوة في محاربة الإسبان، فهذه النقطة إذن لم تكن جوهر المشكلة. لقد فرض الريفيون الضرائب على القبائل، وأغلق سوق تطوان، كما تم الشروع في مصادرة أملاك الحبوس. ثم كانت النقطة التي أفاضت الكأس عندما حاولت السلطات الريفية تجريد السكان المحليين من السلاح. هنا نجد مرة أخرى أن الريسوني ساند الثورة منذ بدايتها[63].

يمكننا من خلال هذين المثالين أن نلاحظ أن المعارضة من القاعدة كانت لها دوافع اقتصادية أساسا. إلا أننا يجب أن ننتبه إلى أن ما حدا بالسكان في كلتا الحالتين إلى الانتفاضة في النهاية هو محاولة تجريد القبائل من السلاح، لأن ذلك كان رمزا لخضوعهم السياسي للريفيين. وبالفعل فقد كان سكان غمارة يرون بأن التوسع الريفي نحو قبائلهم كان يعني نوعا من الاستعمار، فكانوا ينعتون مراكز السلطة الريفية بـ"فيسينا" عوض "محكمة"، وهي كلمة أتت من الإسبانية oficina، و هي عنوان مؤسسات السلطة الإسبانية في المناطق المحتلة[64].

قد يدعونا كل ذلك إلى أن نتصور بأن بن عبد الكريم وأنصاره كانوا دوما مهددين من طرف هذه المعارضة. إلا أنهم في الواقع تمتعوا بقدر واسع من التأييد الشعبي، وهنا يجب أن ندرس طبيعة هذا التأييد.

أسس تأييد الحركة الريفية

تجسد طبيعة المساندة الشعبية اختلاف التيارات السياسية والإيديولوجية التي عرفها الريف أثناء الحرب. لقد كانت لطبيعة هذا التأييد قاعدتان. الأولى هي التأييد الذي قدمه على مضض زعماء محليون أقل شانا، إذ تعاونوا مع بن عبد الكريم للحفاظ على مراكزهم[65]. أما القاعدة الثانية وهي الأهم فهي التأييد الذي قدمه غالبية السكان الذين لم يكونوا يريدون أن يروا الإسبان يحكمون بلادهم.

من الواضح أن هؤلاء الناس العاديون غالبا لم يشاركوا قيادتهم نفس التصورات الإيديولوجية، غير أنهم كانوا مستعدين لتأييد بن عبد الكريم وأتباعه قصد محاربة الإسبان كما كانوا يفعلون قبل حرب الريف نفسها. لقد كان هناك رفض جذري للإسبان كمسيحيين، وقد عبر عن ذلك جيدا قايد محلي في لحظة إحساس مبالغ فيه بالقوة حينما قال لصحفي أمريكي بأنه بعد هزيمة الإسبان، سيتقدم الريفيون لتطهير باقي شمال افريقيا من الفرنسيين، ثم سيزحفون لتحرير الأراضي الإسلامية في شبه الجزيرة الإيبيرية[66]. لم يكن يقصد ذلك جديا لكنه أبان عن الحماسة التي كانت بداخله لمحاربة المسيحيين. في الواقع كان يبدو أن ثمة إحساس عام بضرورة جهاد موسع وشامل، ليس فقط ضد الإسبان بل أيضا ضد الفرنسيين. هذا الإحساس هو الذي دفع بن عبد الكريم إلى القبول مضطرا بالهجوم على منطقة الحماية الفرنسية[67]، رغم أنه أكد للفرنسيين قبل ذلك بأنه يعارض فكرة الجهاد الشامل مضيفا "إننا لم نعد نعيش في القرون الوسطى ولا في زمن الحروب الصليبية"[68]. إلا أنه عندما بدأ الهجوم كان قد سبقه خطاب أحد الفقهاء الذي نادى إلى الجهاد[69]. في الواقع، كان بن عبد الكريم قد صرح علنا في فترة سابقة عندما قدمت له البيعة بأنه "ليس هناك أدنى شك في أن الجهاد واجب علينا"[70].

من السهل تفسير هذه المفارقات على أنها خدعة أو عدم ثقة. إلا أن مثل هذا التفسير يعجز عن فهم التداخل بين الاعتبارات الإيديولوجية والواقع السياسي. من جهة، يمكننا أن نسلم بأن بن عبد الكريم كان يرى فكرة الجهاد الشامل متجاوزة، إلا أن العامل الحاسم في بلورة تصوره حول المسالة هو أن تلك الفكرة لم تكن ممكنة عمليا، لأن الحرب ضد الفرنسيين ستشمل قواته على طول حدود الريف. ومن جهة أخرى، كان بن عبد الكريم وغالبية الريفيين متفقين على ضرورة التصدي للإسبان، فلجأ حسب ما صرح به هو نفسه في "المنار" إلى شعار فعال وهو الجهاد لتعبئة هؤلاء السكان العاديين[71]. لقد كان بن عبد الكريم يجيب بذلك عن متطلبات الواقع السياسي في الريف، وكانت أولى هذه المتطلبات هي مقاومة الإسبان، وكان مقتنعا تماما مثل الريفيين الآخرين بأنهم في غياب هذه المقاومة سيخضعون لسيطرة الإسبان. أما الاختلافات فقد كانت تكمن في طرق مواجهة الخطر الإسباني، و خاصة في مسالة استمرار الإصلاحات التي أحدثت من أجل تلك المواجهة.

خاتمة: العلاقة بين الإيديولوجية والسياسة العملية

إن مسالة الاستمرارية هذه هي محور هذا النقاش، رغم أنها تبقى بدون إجابة. لقد صرح بن عبد الكريم في حوار "المنار" بأنه واجه صعوبات في إقناع السكان بأنه بعد انتهاء الحرب والانتصار أصبح من غير المسموح به العودة إلى حالة الفوضى. من المؤكد أنه بعد انسحاب الإسبان من الجبالة، كانت النقطة الأساسية في شكاوي الأخماس هي أن الريفيين لم يسمحوا لهم بالعودة إلى أنماطهم السياسية والاجتماعية القديمة. لكن استمرارية النظام الجديد على المدى البعيد والمنحى الإيديولوجي الذي كان يمكن أن يتخذه هذا النظام كلها تبقى قضايا افتراضية لا يمكن الجزم بشانها لأن الريفيين لم يتصوروا في الحرب، والنظام الجديد قد انتهى بالانهيار. فإذن تبقى الوسيلة الوحيدة التي يمكن عبرها مناقشة المظاهر الإيديولوجية لحرب الريف هي دراسة السياسات التي اتبعتها القيادة الريفية والمواقف المعلنة لهذه القيادة.

وكما حاول هذا البحث أن يوضح، فإن عملية كهذه تتخللها صعوبات كثيرة، لأن ثمة مشكل على مستوى التحليل يواجه المؤرخ. هل يجب عليه أن يهتم أكثر بالمواقف الإيديولوجية المعلنة للقيادة الريفية -والتي احتوت دائما على عنصر الشعارات (البروبغاندا)- أم بالظروف الاجتماعية والسياسية والاقتصادية التي بلورت هذه السياسة؟ ثم كيف نتعامل مع المعارضة داخل الريف إذا تبنينا تحليلا إيديولوجيا صرفا؟ في الواقع، من المستحيل الفصل بين المظاهر الإيديولوجية والعملية في سياسة كل من القيادة الريفية ومعارضيها. ليس كافيا أن نعتبر بن عبد الكريم مصلحا متأثرا بالسلفية فقط لأنه بدرت منه بعض التصريحات في هذا الاتجاه أو تبنى سياسات بدت وكأنها مبنية على أسس سلفية، لأن ضرورات المرحلة كما رأينا هي التي حددت هذه الجوانب. إلا أنه ليس صحيحا كذلك، في ضوء هذه السياسات، القول بأن الحركة الريفية لم تعد عن كونها انتفاضة قروية بدون أية دلالة تاريخية. إن حرب الريف تطرح في الحقيقة أسئلة مهمة حول إمكانيات المقاومة الإسلامية ضد الاستعمار، وهو ما يسلط الضوء أكثر على أفكار الحركة الإصلاحية ككل، لأنه إذا كانت هذه السياسات - و التي كانت بالطبع السياسات الضرورية لصمود الريف كمنطقة متحررة من الهيمنة الأوروبية- هي أيضا السياسات التي تبناها مفكرو حركة الإصلاح، فإن ذلك يسلط الضوء بشكل كبير حول الكيفية التي تطورت بها تلك الأفكار وعلاقتها بالوضع السياسي للمرحلة.

الهوامش

52. Pennell, "Opposition", p. 713.
53. ibid, pp. 651–652.
54. Rosita Forbes, El Raisuni: Sultan of the Mountains London, 1924. p. 40.
(الريسوني، سلطان الجبال)
55. انظر سيرة الشريف في كتاب فوربز.
56. نفسه، ص 40
57. نفسه
58. Pennell, "Opposition", p. 144.
59. امين سعيد، ثورة العرب في القرن العشرين، بدون تاريخ، القاهرة، ص 193–196.
60. Pennell, "Opposition", pp. 705–708.
61. ibid. pp. 656–658.
62. ibid. pp. 661–672.
63. ibid. p. 702.
64. ibid. p. 709.
65. مثال على ذلك محمد بوقدور من قبيلة تمسمان في الريف الشرقي. سيرته مروية في مقالي "أريد أن أعيش في بيتي بسلام: قايد مغربي و رد فعله إزاء الاستعمار". عنوان المقال الأصلي بالإنجليزية هو:
Pennell, "I want to live peacefully in my house: a Moroccan Qaid and his reaction to colonialism". Maghreb Review, vol. 6, no. 3–4. 1981. pp. 49–54.
66. Vincent Sheean, Adventures among the Riffi. London, 1926. p. 47.
67. Pennell, "Opposition", pp. 762–766.
68. Leon Gabrielli, Abd-el-Krim et les évènements du Rif 1924–1926 : notes et souvenirs recuellis et presentes par Roger Coindreau. 1953, Casablanca, p. 85.
69. أحمد البوعياشي، حرب الريف التحريرية و مراحل النضال، في جزئين. 1974، طنجة. الجزء 2، ص 361–362.
70. سكيرج، الظل الوريف، ص 83.
71. "جهل الزعماء"، المنار.

شـرطـة الـفـكـر (2/2)

بدلا من "البربرية" والإرهاب يطالبنا دعاة السلام بالإعتراف

فرانسوا ليوتار/ جاكوب روغوزنسكي / • تقديم وترجمة وتعليق : د.محمد أندلسي**

وبالرغم من الطابع المنفّر لهذا الإجراء، إلاّ أنه لا يخلو من مزايا . فبإدانته لكل فكر جديد، يستعصي على أن يكون مجرد تكرار لنموذج "معروف سلفا"، يبسّط بشكل جائر تاريخ الأفكار، ويجعل دور القارئ سلبيا . ففي اصطلاح "تـودوروف" المجاني، تصبح كل مغامرة النقد والأدب طيلة القرنين الماضيين، تتلخص في حدث "النزعة المحايثة"، و"نزعة النسبية الفردية"، وكل هذا يتحول في آخر المطاف إلى "عدمية"، و"تعددية خالصة"... ولكن الاكتشاف العظيم لـ nouveaux Babouins، والإسهام البالغ جدا لعائلة النقد- النقدي المقدّسة، يتمثل في منهج النقائض méthode des antinomies. فبعد "عملية التعرف" على المؤلفات بإرجاعها إلى "نماذجها الأنطولوجية"، تجري محاولة "إزالة الأقنعة عن تناقضاتها" بجعلها تتعارض مثنى مثنى . على سبيل المثال، نعثر في قلب "الفلسفة السياسية" لـ"فيري" على تعارض بين "عقلانية دغمائية" (الأطروحة: هيجل) و"نزعة لاعقلانية" (نقيض الأطروحة: هيدغر). ومن ثمة يسهل على دماغ النقد- النقدي القوي، تحقيق التركيب الذي سيقضي نهائيا على التعارض، عبر توحيد "العناصر اللادغمائية للعقلانية ، والنزعة الإرادية، والفينومنولوجيا" (مرجع سابق t2.p.48) . ففي ماذا يتمثل اكتشاف "فيري"؟ في "إقامة تحديد وتمفصل" بين الأطروحة ونقيض الأطروحة في إطار تركيب "تعددي": أي العمل على التقاط "ما هو أفضل في التأويلات الأحادية" (Pensée 68.p.97). ويمكن أن نتعرّف عبر هذه المحاولة على إحدى محاولات الجامعة الفرنسية في القرن المنصرم - ذات الطابع الانتقائي l'éclectisme. لقد أعلنوا في صخب عودتهم الجديدة إلى "كانط" ... لكن تناسوا أن صاحب "نقد العقل الخالص" لم يعتبر أبدا أن استعراض النقائض هو بمثابة مفتاح شامل قادر على حل جميع تناقضات الفكر. ونعلم جيّدا أنه من بين النقائض الأربعة التي تم تحليلها في الديالكتيك الترنسندنتالي، تبقى النقيضتان الأوليتان منهما على الأقل بدون حل . وما ذلك إلا لأن الصرامة التي كان يخضع لها "كانط" تفكيره جعلته لا يكترث بشحذ التسويغات التي قد تفيد في إقامة مصالحات .

بدلا من الإنسان ...

يشكّل فكر "كانط" رهانا لا يمكن بأي حال التفريط فيه وتركه لعبث الكانطيين الجدد . ومهما بدا النزاع الراهن حول فلسفة كانط يكتسي طابعا تجريديا ، إلا أنه في الواقع يثير أسئلة حاسمة. فلنأخذ على سبيل المثال المقطع الرئيسي من المقال الهجائي pamphlet لـ"فيري" و"رونو" والذي يتهمنا فيه "بمناهضة النزعة الإنسانية". (ولنذكّر القارئ) بأن خلفية النقاش/المرافعة هامة جدا : يتعلق الأمر بحقوق الإنسان ، وبشروط مشروعيتها الفلسفية . فتبعا لهم ، يتلخص المنظور الأساسي للفكر الفرنسي المعاصر في "مشروع النقد الجذري للذاتية" (p.41). ف "فلاسفة الستينيات" بانحيازهم - أسوة بهيدغر- "للمذهب المناهض للنزعة الإنسانية"، أفرغوا مفهوم حقوق الإنسان من كل معناه . ذلك لأنّ هاته الحقوق تقتضي (في نظرهم) أن تؤسّس على فكرة الإنسان بما هو ذات حرّة ومستقلة. وهذه "النزعة الإنسانية الغير ميتافيزيقية"، هي في اعتبارهم أساس فلسفة "كانط" و"فيخته" . وحينما يناضل "فوكو" "وهو من أبرز مناهضي النزعة الإنسانية"، أو الهيدغري Lefort من أجل حقوق المساجين، أو حينما يساندون مقاومة Solidarnosc فهم يقعون في التناقض وعدم الانسجام. فمن أجل اكتساب حق الاهتمام بالإنسان، يجب الانخراط في نزعة "فيري" و"رونو" الإنسانية .

وأمام تعدّد القرائن ، فإنّ الأمر هنا أيضا ، يحتاج بالضرورة إلى تحليل لإظهار اللبس الذي تتم صيانته والمتمثل أساسا في إقامة تطابق بين "فكر الذات" ومسألة "تثمين الإنسان" (p.22 etc). وهو لبس يمكنهم من إقامة تماثل بين العملية التي تسعى إلى مساءلة النزعة الإنسانية الميتافيزيقية، و تلك التي تهدف إلى "تفكيك الذاتية". لو تجشم أنصار "الإنسان" عناء قراءة "هوسرل" Husserl، لاكتشفوا لديه محاولة صارمة للتفكير في الذاتية، خارج أي تحديد تجريبي للشخص الإنساني. وباسم هذا التحييد (الإختزال) أمكن لـ"هوسرل" التأكيد أن "الأنا ليس هو الإنسان"، وبأن الأنا الخالص ليس إنسانيا في شيء ، ويجب وصفه بدون أي إحالة إلى الوجود الجماعي، أو البسيكولوجي، ناهيك إلى لغة البشر. والحالة هذه، وبالرغم من اختلاف الإشكاليات ، فإن المسعى الهوسرلي في هذه النقطة له قرابة بمسعى "كانط". فحينما يقوم هذا الأخير بتحديد مبدأ الواجب الأخلاقي، يؤكّد على "الأهمية القصوى" لعدم السعي إلى "أشتقاق واقع هذا المبدأ من التكوين الخاص للطبيعة الإنسانية"[1]. وتحت هذا الشرط فحسب، يمكن تبعا لكانط ضمان "صفاء" الإيتيقا، والتي لا يجب "خلطها مع الأنتروبولوجيا والثيولوجيا". ولا يفوت كانط التذكير باستمرار بهذه المسألة، حيث "الإنسان ليس هو مقصد الواجب الأمري: وإنما هو موجّه إلى "الكائنات الفانية الراشدة" . فالقانون الأخلاقي بما هو مبدأ خالص للعقل العملي، فهو لا إنساني في معناه الدقيق. فهو يطالبنا بالتعالي على تجربتنا "الإنسانية"، وعلى ما يسمّيه "بالإرادة المريضة"؛ كما يطالبنا بالانعتاق من حدود وضعيتنا التاريخية، ومن ميولاتنا النفسية، وقيمنا الإنسانية المسرفة في إنسانيتها، حتى نستطيع وبدون تحفظ تلقي نداء الواجب الأخلاقي. وحينما حاول كانط منذ سنة 1729 إعادة تسجيل المبادئ الأخلاقية في المعطى التجريبي للوجود البشري، بدت له الإنسانية مذنبة بشكل غير محدود، ومحكومة بشرّ متجذّر. فما هو "إنساني" في الإنسان، هو تلك المسافة وذلك الإلتواء الذي يصرفنا عن القانون أن تكون إنسانا ، يعني أن تكون مخطئا : فكل نزعة إنسانية هي نزعة مرضية .

وحينما يعلن "فيري" و"رونو" "تبنّيهما" لنزعة كانط الإنسانية"، لإدانة من "يريدون جعل الفلسفة لا إنسانية" ، فهما يبرهنان بذلك على سوء فهمهما لكانط . ذلك لأن فكر كانط ليس ب"نزعة إنسانية" ولا "ضد إنسانية" (ولا بالأحرى "نزعة عقلانية"). وذلك ليس لأن الفكر الأصيل على غرار فكر كانط، أو هوسرل، أو هيدغر، لا يقبل أن يكون أسيرا لتلك التقابلات المدرسية فحسب؛ ولكن أيضا لأنّ تحييد كل معطى أنتروبولوجي يعدّ مطلبا لاكتساب حقوق الإنسان معانيها. وفي منظور كانط ، فإنّ ما يضفي الشرعية على تلك الحقوق ويضمن طابعها الكوني واللامشروط، وهو ما تفتقر إليه "حقوق" وامتيازات الجماعات الإمبريقية- هو استنباطها من الأمر الأخلاقي باعتباره نمطا من الهبة "الخارجية" للقانون[2]. فلكي يتسنى شرعنة حقوق الإنسان، كان يجب إبراز اللحظة اللاإنسانية للقانون، والحكم لصالح ما هو لا إنساني faire son droit à l'inhumain. من زاوية النظر هاته، يستحيل أن يكون الإنسان بالنسبة لكانط ذاتا خالصة للقانون. سذاجة الإنسانويين les humanistes ودغمائيتهم تتمثل في إرادة تأسيس حقوق الإنسان على مفهوم معين، وبالتالي حول فكرة عن الإنسان يتحدد بموجبها كشخصية عاقلة ومستقلة إلخ. وكأنّ هذه الماهية/الإنسان، يمكن أن تنصّب كمرجع أخير للحق وكمعيار للتمييز بين ما هو عادل وغير عادل، وما هو إنساني وغير إنساني. نعتقد على العكس من ذلك أنّ ديناميةالحداثة تميل إلى جعل تلك المعالم والمعايير متأرجحة، وتعريضها للعبة لا تحديد جذري، ولمخاطرة النزاع والمختلف. وهذا ما يمنع كل ذات معينة -فردا كانت أم طبقة أم أمّة، أو حتى "إنسية" إمبريقية- أن تقدّم نفسها كسلطة مطلقة أو كمرجع أسمى للحق. "الإنسان"، بدون اسم وبدون صفات ، والذي هو وجهة حقوق الإنسان، لا يمكن إلا أن يشير بفقر إلى هذا المكان الفارغ للقانون، إلى هلاميته المسرفة، التي تنزع المشروعية عن غطرسته باعتباره المشرّع الأكبر.

الجماعة الموعودة

إن التحديد القبلي لمحتوى حقوق الإنسان يؤدي إلى تجميدها بشكل اعتباطي، ويحول دون وضع القواعد القائمة موضع تساؤل، ودون البحث عن أخرى جديدة، وإنهاء النزاع الدائر حول ما هو عادل وغير عادل. وكل هذا يؤدّي إلى حظر المختلف. وعلى أية حال فأصحاب الرقابة لا يخفى سرّهم على أحد في هذا الصدد. فهم يعملون على استتباب الأمن، والتوحيد، و"الإجماع"، وإخضاع كل فرادة إلى معيار مشترك - تلكم هي المهمة التي انتدبت لها شرطة الفكر نفسها. ولا نندهش إن رأينا إيديولوجية الإجماع الهشة هاته، تتحوّل تحت ريشة الشرطي "بوفريس"، إلى مديح للنزعة الامتثالية للجماهير. فما الذي يضعه لنا كقاعدة كبرى وكغاية نهائية؟ (لاشيء غير) "الإجماع والتضامن اللذان يتجليان في احترام المؤسسات، والمعايير والأعراف المقبولة بدون أي احتجاج، (وكذا) العقلانية المبتذلة، واللغة اليومية، والحس المشترك، والفهم المتداول، والاستعمال اليومي، إلخ. "شرطة اللغة" (...)، "الحفاظ على النظام" في التبادلات اللسانية، والحفاظ على الإجماع، والتوحيد، والضبط وكل ما هو ضروري لوجود الجماعة ذاتها "(p.132). لقد حان الوقت لإحراج المعاندين و"المهمّشين" (...) وكل الرافضين - حسب "فيري" و"رونو"- للخضوع لقانون "التبادلات المتوافقة والمتصالحة" (بوفريس. ص148)، و"التماهي" مع المصالح العليا "لجماعتهم التاريخية" (ص159).

> أليس الإرهابي حقا بمعناه المألوف في مجتمعاتنا الحديثة، هو بالأحرى من يهاب اختلال النظام، ويحقد على الحدث ، وفي حاجة ماسة إلى التطبيع والتماهي ؟

هل تعتبر هاته وقاحة صادرة منّا أن نعلي من شأن حقوق التفرّد، والإبتكار، والتباين في المشاعر، والاختلاف في الرأي؟ وإثارة "أزمة الأسس"، والمفارقات المنطقية،والقضايا العويصة التي يصدر عنها الفكر مرحليا ؟ بدلا من مدح "الحرب الأهلية المعمّمة" (بوفريس :ص145)، و"انعدام التواصل" ("فيري"-"رونو":ص45)، أي بدلا من "البربرية" والإرهاب ، يطالبنا دعاة السلام بالاعتراف l'aveu. لكن أليس الإرهابي حقا بمعناه المألوف في مجتمعاتنا الحديثة، هو بالأحرى من يهاب اختلال النظام ، ويحقد على الحدث ، وفي حاجة ماسة إلى التطبيع والتماهي ؟ أليس ما يهدّدنا هو بالضبط هذا اليقين المتعجرف بأن كل شيء وبدون إستثناء ، مقبول، وقابل للتعيين وللتواصل ؟ لكن المبشرين الطيبين تربكهم دقائق الأمور: فبمجرّد ما يضع المرء موضع شبهة إمكانية وجود تواصل شفاف ، أو توافق إجماعي مؤسس على العقل ، يتّهم بالرغبة في العنف والفوضى .

بيد أنّ تعاليم كانط، سبق لها أن حذّرتنا من هذه البدائل المبتسرة . فبعد استعراضه في "نقد ملكة الحكم"، لنقيضة الحكم الجمالي، يستخلص بأنه في مجال الذوق تتعذر المناظرة، أي البرهنة "بواسطة مفاهيم محدّدة"، وبالتالي لا يمكن الوصول في هذا الصدد إلى إجماع قار. غير أن هذا لا يعدم إمكانية السعي للحصول على موافقة الآخر بواسطة النقاش من دون أن يؤدي ذلك إلى الإقناع. وبالفعل ففي هذا الطراز من الحكم، لا تكون ملكة الحكم لديناً محدّدة(برفع الميم وكسر الدال) بل مجرّد تخمينية réfléchissante. فهي لا تتأسس على مقولة أو مبدأ شمولي معطى سلفا وقابلا للتطبيق، ولكن عليها - وتحت تأثير معطى فريد أو حالة غير متوقعة - أن تصدر الحكم من دون قواعد حتى يتسنى لها إقامتها . وعن هذا الاستعمال التخميني للحكم يصدر نشاط الفنان، والفيلسوف الناقد، والسياسي "الجمهوري" républicain ، وكل مسعى ابتكاري إذ يقتفي أثر المجهول ، والمرفوض، يسعى إلى أن يقطع مع المعايير المشكلة ، ويعمل على تفجير الإجماع، ويحيي وينعش حسّ الاختلاف .

وبديهي ألا يقبل هذا الكانطي الدغمائي الجديد المهووس ببعث الوحدة، وإقامة الهوية. لهذا يسارعون لتشويه نظرية كانط في الحكم التخميني le jugement réfléchissant، حيث يؤوّلونه كـ "مصالحة بين الخاص (الحساسية) والكلي (المفهوم) "،حيث "الواقع الخاص(...)يتوافق بشكل حر" مع الكلي. ويعتقد "فيري" بأنه قادر على أن يستخلص "أن التواصل الجمالي(...)يبدو كتواصل مباشر، ومصدر لبين-ذاتية فورية intersubjectivité: حيث تتم الموافقة بين الأفراد بدون واسطة أي مفهوم" (الفلسفة السياسية الجزء1.ص178-179). ويكفيه بعد هذا (يقصد "فيري") أن ينقل هذا النموذج من المجال الجمالي إلى المجال السياسي، ليحدد هذا الأخير باعتباره فضاء للتلاقي والتواصل ولتسويغ إيديولوجيات الإجماع.

وممّا لا مراء فيه ، فنحن في مواجهة لأخطر سوء فهم يقع فيه الكانطيون الجدد. أكيد أنّ أي حكم جمالي في سعيه نحو الشمولية، يحمل -حسب كانط- وعدا بالجماعة المثالية، حيث شعوري المتفرّد يغدو ذاته شعور الجميع. لكن فورية هذا الحكم هو بالضبط ما يجعله يتم "بدون توسط أي مفهوم"، فهو لا يطالب إلا بشمولية ذاتية و"بمعيار غير محدّد للحسّ المشترك". لأجل هذا -يضيف كانط- لا ينبغي هذا الحكم يقاوم باستمرار نزوعه نحو الشمولية".

تلكم هي مأساة الحكم الجمالي، فلأنه عاجز عن الاستشهاد على معياره أو قاعدته، يجد نفسه مضطرا للتمسك باتفاق مثالي، في نفس اللحظة التي يكون فيها موضع رفض من قبل الآخر.

فبقدر ما لا يسمح الحكم التخميني "بتواصل مباشر"، بقدر ما توقظ ممارسته، الإحساس بالجماعة الموعودة والمؤجّلة باستمرار. واضطراب الحسّ المشترك هذا يحتدّ بموازاة الشعور بالتعالي الذي يشهد على ما هو غير قابل للاستشهاد، وعلى الإسراف الغير قابل للتقدير للفكرة المتعلقة بالواقع l'excès incommensurable de l'idée sur le réel.

فلأن الجماعة عبارة عن وعد، تظل كآفق بمنآى عن البلوغ. أن تكون مشاعرنا أحيانا مشتركة، فهذا كما يقول كانط، بمثابة واقع "غريب وفريد"، ويفسر "الطابع الملغز" لملكة الحكم لدى الإنسان. ليس هناك سوى تفاهمات هشة، واتفاقات قاصرة، تولد من صدمة مصير، لكنها لاتمكن من أية مصالحة، بل تدعونا إلى المشاركة في المختلف .. ولقد شكل الحماس الذي أثارته الثورة الفرنسية في كانط[3]، مثالا ساطعا على هذه الفرص غير المنتظرة التي يمنحها الحدث للإنسان. لأنها تنطوي بما هي "علامة تاريخية" على استعداد أخلاقي للبشرية، ومؤشر على التقدم نحو الغاية النهائية للنوع. وإذا كنا نحن اليوم لانشارك كانط ذات المشاعر حول نفس الموضوع، فلأننا وبدون شك، نوجد في مواجهة تاريخ مؤشراته متعددة، تثير في عدم تجانسها أسماء أوشويتز Auschwitz، وكوليما Kolyma، وبودبست Budapest وأيضا ماي 68[4] - حيث كل مؤشر على حدة، يلوم ويتهم بأسلوبه الخاص تشتت الغايات، واختفاء أو أفول الأفكار التي تفتقت عنها الأنوار، وتلتمس إنصاتا جديدا، وأفكارا مغايرة. فالمتسامي يوجد في قرابة مع المسخ البضع ... وهذا ما تشهد عليه تجربتي الفن والكتابة في هذا القرن. بل هذا ما تشهد عليه أيضا تلك الأفكار التي ننعتها ب "اللاعقلانية" و "المناهضة لما هو إنساني". ففي الحدود التي يتم التشديد فيها من قبل مجهودات فكرية، على الاختلاف الموجود بين الكائن والكينونة (هيدغر)، وعلى الاختلاف المؤجل différance لأثر الكتابة (دريدا)، وعلى الاستيلاب الرمزي للرغبة (لاكان)، أو على نصيب الحمق الذي يلازم نظام الخطاب (فوكو)، فمن أجل المطالبة بالإنصات لما لاينصت إليه، أو لما هو غير قابل للإنصات.

- نص مترجم من مجلة : L'autre journal . n°10 . Décembre 1985 ، تحت عنوان : La police de la pensée ، من ص27 إلى ص34.

** أستاذ بكلية الآداب، جامعة مولاي إسماعيل، مكناس.

[1] - يتعذر علينا هنا إنماء هذا الإستنتاج الذي أجراه كانط في مذهبه في الحق.

[2] - لقد استندنا هنا إلى المقال البارز لLefort والمعنون ب: حقوق الإنسان والسياسة، والوارد بكتاب "الإبتكار الديمقراطي" Fayard 1981

[3] - (المترجم) : يشير صاحبا المقال هنا ضمنيا إلى نصّ شهير لكانط ، يتساءل فيه : ما هو عصر الأنوار؟ وما يلفت الانتباه في هذا النص ، هو الجواب الذي سيقدّمه عن سؤاله ذاك ، والحماس الذي سيبديه تجاه الثورة الفرنسية لسنة 1789 . فعصر الأنوار بالنسبة له يتحدّد باعتباره العصر الذي يخرج فيه الإنسان من قصوره الذاتي ويستخدم فكره بشكل حرّ ومستقل. ليس التنوير إذن سوى بلوغ سنّ الرشد والحرية في التفكير والجراة على استعمال العقل في جميع المجالات.(يمكن الرجوع بصدد هذا النص إلى ترجمته الواردة ، في سلسلة دفاتر فلسفية، دفتر : الحداثة . إعداد وترجمة محمد سبيلا وعبد السلام بنعبد العالي، من ص44 إلى ص47 ، دار توبقال للنشر 1996) . وحسب قراءة فوكو الشهيرة ، يكتسي هذا النص أهمية مزدوجة: فهو ينتمي إلى مجال التاريخ والحدث ، من حيث محاولته فهم جدة الحدث التاريخي الذي يمثله عصر التنوير، فسعى إلى تحديد قيمته وتأثيره على اللاحق من الأحداث ، ومن ثمة فهو يعكس وعي كانط بالعصر الذي ينتمي إليه وبالأحداث التي ستغيّر وجه التاريخ . وثانيا يستمدّ أهميته من خلال راهنية سؤاله ومشكلته . من حيث أن نص كانط لا يبحث في أصل التاريخ، أو في مشكلة التقدم، بل هو يطرح سؤال الحاضر ومسألة الراهن والآنية : ماذا يحدث الآن؟ وما هوية هذا الذي يحدث؟ ما هو هذا الحاضر الذي انتسب إليه؟ وما هي دلالته ومعناه؟ فالفلسفة ولأوّل مرة مع كانط، تعمل على صياغة إشكالية أنيتها النظرية.فهي تستنطق هذه الآنية كحدث لا بد أن يفصح عن معناه وقيمته، ولا بد أن تجد فيه تعليلا لوجودها وأساسا لما تقوله . وهذه هي دلالة حماس كانط للثورة، الذي يشير إليه "ليوتار" . فما كان يهمّ كانط ليس الثورة في حد ذاتها، بل الآثار المتبقية في أذهان الناس الذين لم يعيشوا مخاضها. فما كان يهمه هو مقدار هامش الحرية الذي يتمتع به الإنسان الراهن، والذي يمكنه من التفكير في استقلال وحرية (يمكن الرجوع بصدد قراءة فوكو لهذا النص إلى نص "كانط والثورة" الوارد ضمن ملف فوكو المنشور بمجلة "الكرمل" العدد 12 /1984، من ص66 إلىص71 . ويمكن الرجوع أيضا إلى Magazine littéraire n°309/1993 et n°207/1984.

[4] - (المترجم) : ونضيف هنا ما تقترفه الدولة العبرية اليوم من مجازر في "جنين" و"بيت لحم"، و"الجليل" و"رام الله"..إلخ، وذلك أمام مرأى العالم ، وبمباركة أقوى دولة وأكثرها "ديمقراطية".

ثقافة العين...
من الأمازيغية إلى الحداثة

الحسين سعلي

II ـ ثقافة العين الأمازيغية:

في الحلقة السابقة ركزت على ثقافة العين عند المصريين القدماء اعتمادا على الميتولوجيا. من خلال الأساطير التي أتيت على ذكرها، تبين أن حاسة البصر لها قيمة ثقافية عند المصريين القدماء: فالعين تشكل عندهم حاسة مركزية تدور حولها ظواهر حضارية أخرى مثل المعتقدات، الأسرة، الفن والأسطورة. هنا تكمن أهمية حالة مصر كتمهيد، ذلك أنها توفر واقعا حضاريا غنيا له علاقة قرابة بالثقافة الأمازيغية من جهة، كما توفر مصطلحات ومفاهيم يمكن اعتمادها للإشتغال على الثقافة الأمازيغية من جهة أخرى.

إن ما كان نهاية لحالة مصر في الحلقة السابقة سيكون بداية للحلقات الخاصة بالأمازيغية، أي أنني سأعمل على إبراز ثقافة العين الأمازيغية من خلال علاقة العين بالمعتقدات والأسرة والفن، وانطلاقا من هذه الظواهر الثقافية سأقسم موضوع ثقافة العين الأمازيغية إلى ثلاثة أقسام: سأركز في القسم الأول على علاقة العين بالمعتقدات اعتمادا على الميتولوجيا وفي القسم الثاني سأركز على الوضع الكوسمولوجي للمجال الأمازيغي وعلاقته بنظام القرابة (الأسرة) وتقسيم العمل الجنسي بين الرجل والمرأة الأمازيغيين. أما في القسم الثالث والأخير سأركز على علاقة ثقافة العين بالفنون الأمازيغية وذلك اعتمادا على دور المرأة في ذلك.

1 ـ ثقافة العين الأمازيغية في الميتولوجيا:

يمكن للميتولوجيا أن تمدنا ببعض الخصائص المميزة للثقافة الأمازيغية وخاصة أهمية العين فيها. ولتحقيق هذا الهدف سأعتمد على أساطير تتحدث عن أصول آلهة شعوب البحر الأبيض المتوسط. ثم أورد بعد ذلك أهم الآلهة الأمازيغية ومجال اهتمامها وأثرها، لأنتهي إلى استنتاج أهمية العين وأثرها في الثقافة الأمازيغية.

أ ـ أصول آلهة البحر الأبيض المتوسط:

يقول هيرودوت: «الحقيقة هي أن الليبيين [الأمازيغ] هم أكثر قدسية من بين كل الناس الذين نعرفهم». ويقول أيضا: «يحتل الليبيون الدرجة الأولى في القدسية وبعدهم يأتي المصريون في الدرجة الثانية»[1]. فما الذي جعل أبا التاريخ يقول هذا الكلام؟ لم يدون هيرودوت في تاريخه إلا ما كانت تعتقده شعوب المتوسط قديما. وقد كانت هذه الشعوب تعتقد أن أصل جميع الآلهة يعود إلى بلاد الأطلس. يقول المؤرخ اليوناني ديودور الصقلي Diodore de Sicile ما يلي: ينبغي أن أتناول بتفصيل ما كان يروج عندهم من أساطير حول ميلاد الآلهة، وذلك مطابق لما يحكيه الإغريقيون. فالأطلسيون الذين يسكنون المناطق المتصلة بالمحيط كانوا يمتلكون أرضا مزدهرة، وتميزوا عن جيرانهم بإيمانهم القوي وبمعاملة حسنة مع الأجانب. إنهم يؤكدون أن الآلهة ولدت في بلادهم، وهذا يوافق ما يعتقده أشهر شعراء الإغريقيين (يقصد هوميروس) في حديثه على لسان هيرا Héra قائلا: «سأذهب فعلا إلى حدود الأرض الخصبة، إلى ناحية المحيط حيث ولدت الآلهة من أمها تيتوس[2] Tetus».

يتحدث ديودور دي سيسيل في هذا النص عن الأصول الأطلسية لآلهة البحر الأبيض المتوسط. ويستند في حديثه إلى ما يقوله الأمازيغ والإغريق وهوميروس. إن ما يعتقده الأمازيغ والإغريق عن أصول الآلهة يعتقده المصريون القدماء أيضا، ويعود ذلك، فيما يبدو، إلى تصورهم لعلاقة نهر النيل بجبال الأطلس. لقد كان المصريون القدماء يعتقدون أن النيل ينبع من جبال الأطلس وليس من منطقة البحيرات الكبرى شرق أفريقيا. ومن العلاقة السببية الطبيعية بين النيل والأطلس ترتبت علاقة سببية ثقافية، أي أن آلهة بلاد النيل تنتسب إلى آلهة بلاد الأطلس، فآلهة مصر مثل آمون وإزيس وأوزيريس وغيرها تعود أصولها إلى بلاد الأمازيغ. يقول محمد مجدوب: « إن أهم ما يسترعي الإنتباه في مسألة العلاقات بين المغرب ومصر هو تبادل الرموز الروحية من خلال تشبث الأطلسيين، وهم سكان المغرب القديم، بانتماء الإله المصري أوزيريسOsiris إلى بلادهم وهو الإله المعروف بديونيسوسDionysos عند الإغريقيين»[3].

إن تبعية النيل للأطلس على المستوى الطبيعي، في اعتقاد المصريين القدماء، ترتبت عنه تبعية ثقافية على مستوى المعتقدات الدينية والرموز الإلهية، إذ ورث كبار المفكرين الإغريق عن المصريين هذا الإعتقاد، والدليل على ذلك هو ما قاله ديودور دي سيسيل عن هوميروس، والوضع الجغرافي للنيل في خريطة المؤرخ اليوناني هيرودوت (أنظر الخريطة)[4]، حيث نلاحظ أن النيل، في الخريطة التي وضعها لبلدان المتوسط، لا تتطابق مع الواقع الطبيعي لهذا النهر، وإنما تتطابق مع معتقدات المصريين، ذلك أن النيل في خريطة هيرودوت ينبع من بلاد الأطلس وليس من منطقة البحيرات الكبرى.

لم آت بأصول آلهة المتوسط كفاية في ذاتها، وإنما من أجل الوصول إلى هدفين: أولهما هو إبراز العلاقة السببية بين معتقدات الشعوب من جهة وبين وعيها وممارساتها من جهة أخرى، وهذا يعني أن آلهة الأطلس كمعتقدات مارست تاثيرها الثقافي على شعوب المتوسط بشكل عام وعلى الأمازيغ بشكل خاص. والهدف الثاني هو أن ثقافة العين الأمازيغية والمصرية يمكن أن نعثر على أصولها، جينيالوجيا، عند آلهة الأطلس، لذلك يمكن تحقيق هذا الهدف بالتركيز عن أهم آلهة الأمازيغ ومجالات اهتمامها:

لقد وقع اختياري على إلهين أمازيغيين: الإله أورانوس Ouranos وابنه أطلس Atlas. هذا الإختيار يعود إلى سببين: السبب الأول هو أن أورانوس وابنه أطلس هما أهم الآلهة عند الأمازيغ القدماء، والسبب الثاني هو أنهما يعطيان أهمية كبرى للعين. وفي هذا المجال يقول دي سيسيل عن الإله أورانوس: «يعتقد الأطلسيون أن أورانوس هو أول من حكم بلادهم. فقد أحاط مدينته بسور وجمع فيها رعاياه الذين كانوا يهيمون في الأرض ويعيشون حياة متوحشة، فسن لهم القوانين، وعلمهم إنتاج الحبوب والإحتفاظ بها إذ فتح كل البلاد المسكونة خا صة في الغرب والشمال. كان يتأمل النجوم ويبشر بالأحداث التي ستجري في الكون، وقد علم قومه حساب السنة تبعا لحركة الشمس وحساب الشهور اعتمادا على القمر. وعلمهم كذلك دورة فصول السنة. هكذا [لم يعد الناس] يجهلون النظام الأدبي للنجوم. وتأكدوا من صحة تنبؤات أورانوس بالمستقبل، كل ذلك جعلهم يتخذونه إلها، ولما اختفى من الوجود أطلقوا اسمه على الكون»[5].

يتحدث دي سيسيل عن الدور الذي قام به الإله أورانوس لنقل قومه الأمازيغ من حالة الطبيعة إلى حالة الحضارة (الثقافة). قائلا إنه "أول من حكم بلادهم... سن لهم القوانين، وعلمهم إنتاج الحبوب والإحتفاظ بها...كان يتأمل النجوم ويبشر بالأحداث... علم قومه حساب السنة... وحساب الشهور...علمهم كذلك دورة فصول السنة... والنظام الأدبي للنجوم". ويشكل علم النجوم Astrologie مصدر المعارف التي علمها أورانوس لقومه: حساب السنة، حساب الشهور، دورة فصول السنة، إنتاج الحبوب. وحتى القوانين التي سنها لقومه اشتقها من قوانين الكون، ذلك أن النظام الإجتماعي والسياسي ليس غريبا عن "النظام الأدبي للنجوم"، أما التنبؤ الذي أورده المؤرخ فلا يمكن أن يحصل إلا إذا كان الكائن الإلهي أو الإنساني يعرف القوانين التي تحكم الظواهر الطبيعية والإنسانية. وهذه المعرفة الكلية ورثها الإله أطلس عن والده أورانوس، ثم علمها هو بدوره لبناته السبع.

الإله أطلس أو وحدة الطبيعة والثقافة:

للأطلس مدلولان يحيل أحدهما على الآخر، في الوعي الثقافي لشعوب البحر الأبيض المتوسط القديمة. المدلول الأول يحيل على ما هو طبيعي وهو ذلك الجبل الموجود في شمال أفريقيا. أما المدلول الثاني فيحيل على ما هو ثقافي (ميتولوجي).

ونجد هذه الدلالة المزدوجة في الموسوعة البربرية التي ورد فيها مايلي: «أطلس في الميتولوجيا اليونانية كائن عملاق حكم عليه زيوس Zeus أن يحمل على كتفيه او على ذراعيه أو على رأسه قبة السماء». ويقول هيرودوت: «إنه كثير الإرتفاع، بحيث لايمكن رؤية قممه، لأن الثلج لا يفارقه في الصيف والشتاء، ويقول سكان البلد: إنه قبة السماء»[6].

انطلاقا من الكلام السابق يطرح السؤال التالي: ما هو العامل المشترك بين الدلالة الطبيعية والدلالة الثقافية للأطلس؟ إن العامل المشترك هو العظمة، ذلك أن الأطلس إله وجبل عملاق في نفس الوقت. ووظيفته هي اختصار المسافة بين الأرض والسماء وبين ما هو إلهي وما هو إنساني. وبهذا الصدد يلخص جبرييل كامبس G. Camps هذه الطبيعة المزدوجة للأطلس ووظيفته في هاتين العبارتين: «كان ماكسيم دي تير Maxime de Tyr يدعي أن الأطلس هو معبد وإله في نفس الوقت. والقديس أغوسطين كان يلوم رعاياه على عادتهم المتمثلة في صعودهم للجبال من أجل الإحساس على أنهم أكثر قربا من الله»[7].

إن تصور الأمازيغ والمصريين القدماء للأطلس كقبر وكإله جعلهم يشيدون مقابرهم ومعابدهم على شكل أهرامات، أي لا فرق من حيث الشكل بين الأطلس كجبل وكإله وبين قبور ومعابد المصريين والأمازيغ. ونجد الأطلس، في الميتولوجيا الرومانية، قبر عملاق للإله أطلس، غابته ترمز إلى شعره والثلج يرمز إلى لحيته والجبال الصغرى المحيطة به ترمز إلى أطرافه. وهذه الدلالات الرمزية التي يتم بها تعريف الإله أطلس يمكن أن تسمح لنا بفهم وتفسير العناية التي يعطيها الأمازيغ والمصريون للأشكال الرمزية، وذلك انطلاقا من كون الكائن الإلهي، عندهم، هو كائن رمزي وليس لغوي.

إن هذه الأشكال ترتبط بحاسة البصر (العين)، دون غيرها من الحواس. سأقف على أهمية الأشكال الرمزية عندما أنتقل إلى فنون المرأة الأمازيغية. أما الآن فيتعين علي أن أبرز علاقة الأطلس بالعين. وهنا يبدو أن لاشيء يمد الإنسان بالمعرفة الكلية للظواهر الموجودة في السماء وفي الأرض مثل الجبل، والوسيلة الوحيدة لبلوغ هذه الغاية هي العين، وعندما أقول الظواهر phénomènes إنما أعني الأشكال les formes. ذلك أن ثقافة الظواهر والأشكال هي كلها ثقافة بصرية تدور حول العين، وفي هذا الإطار يبدو أن الثقافة الأمازيغية والثقافة المصرية القديمة، كلهما تقريبا ثقافة عين، لأنهما تعتمد على الشكل. لكن الفرق بينهما يكمن في علاقة أشكالهما بالطبيعة والثقافة. إن الأشكال الثقافية المصرية هي أشكال ملموسة formes concrètes، مثلها مثل الأشكال اليونانية، فهي تحيل إلى الطبيعة وتحاكيها. أما الأشكال الأمازيغية فهي أشكال مجردة formes abstraites تحيل إلى الثقافة وخاصة الحكمة: الألغاز والأمثال والقيم. من هنا تأتي صعوبة فهم وتفسير النسق الرمزي الأمازيغي، هذا النسق الذي تتقن المرأة الأمازيغية استخدامه بشكل رائع على الجسد (الوشم والحناء)، على جدران المنزل، على الخزف، على الزرابي، على الألبسة...إلخ. وتسمى الأشكال الرمزية الأمازيغية بالأشكال الهندسية formes géométriques. وهي تعود إلى أهمية العين في المعتقدات الأمازيغية. التي تدور حول آلهة الأطلس الذين اعتمدوا حاسة البصر لمعرفة الظواهر الفلكية والأرضية والعلاقة فيما بينها.

ورث الأمازيغ ثقافة العين من الآلهة التي ترتبط بالأطلس كجبل وكإله أي كطبيعة وكثقافة في نفس الوقت. وهذه الثقافة علمها أطلس لبناته وللأجانب أيضا. يقول هيرودوت: «كان لأطلس سبع بنات سمين بالأطلسيات نسبة إلى والدهن وبالهسبريات نسبة إلى والدتهن هسبرية. وبزواجهن بالآلهة والأبطال تكون الجنس البشري. ولقد تزوجت مايا Maia بزيوس وأنجبا هرميس العظيم، صاحب العديد من الاختراعات النافعة للناس. وقد أنجبت بقية الأطلسيات أبناء اشتهر بعضهم ببناء المدن وآخرون بتكوين عدة أمم»[8]. فما هو الأثر الثقافي لبنات أطلس على شعوب المتوسط؟

تقول مليكة حاشد إن : «هيرودوت يقول نفس الشيء بالنسبة للإلهة أثينا Athéna هذه الإلهة التي يكرمها الليبيون الموجودون على ضفاف المتوسط، وبالضبط سكان بحر بوغرارة. وهذا الكاتب [هيرودوت] لم يصف لنا لباس المرأة الليبية [الأمازيغية]، لكنه أوضح أنها كانت تلبس جلد الماعز بدون شعر، مزين بأهداب ولون أحمر.» إن اليونانيات استعرن من الليبيات لباس الجلد الخاص بتمثال أثينا...أظن كذلك أنهن استعرن منهن الأصوات الحادة [الزغاريد] التي تستعمل في المناسبات الدينية لأن الليبيات يستعملن عادة هذه الأصوات التي يتقنّنها جيدا»[9].

في النص الأول والثاني يتحدث محمد مجدوب ومليكة حاشد، استنادا إلى هيرودوت، عن بنات أطلس وأثرهن الثقافي على شعوب المتوسط رجالا ونساء. ويؤكد ديودور دي سيسيل نفس الشيء من خلال علاقة الإله أطلس بالبطل الأسطوري اليوناني هيرقل عندما حل ببلاده: «إن أطلس أكرم هيرقل بتلقينه علم الفلك Astrologie. لقد نبغ أطلس في هذا العلم، ووضع بمهارة كوكبا سماويا. وهذا ما جعل الناس يعتقدون أنه يحمل الكون فوق كتفيه. وبما أن هرقل هو أول من أتى إلى بلاد الإغريق بعلم الكروية،فقد ظن الناس أنه أخذ عن أطلس حمل الكون»[10].

تحدثت في النقطة الثانية من هذه الحلقة عن أهم الآلهة الأمازيغية وأثرها الثقافي. وأود أن أذكر بأن هدفي من ذلك ليس إرجاع ثقافات البحر المتوسط إلى الأمازيغ، وإنما هو إبراز التفاعل الثقافي بين هذه الشعوب من جهة والخصائص المميزة للثقافة الأمازيغية من جهة أخرى. تزودنا الأساطير التي تدور حول آلهة الأطلس بتلك الخصائص. إنها تعطي أهمية كبرى ل "علم الفلك"، ومن هذه الأهمية انبثقت ثقافة العين. وتتجلى هذه الأهمية في ظواهر ثقافية أمازيغية مثل نظام المجال الأمازيغي والفنون الأمازيغية.

كخلاصة أقول أن الميتولوجيا يمكن أن تزودنا بمعرفة جيدة عن المعتقدات الدينية الأمازيغية القديمة. وهذه المعتقدات تدور حول الأطلس كظاهرة طبيعية وثقافية، يترتب عنها أهمية حاسة البصر (العين) على حساب الحواس الأخرى: اللمس، الذوق، الشم، السمع. من هذه المعتقدات انبثقت ثقافة العين التي تتوجه إلى الظواهر والأشكال. لهذا السبب لا يمكن أن نفهم الثقافة الأمازيغية إلا في بعدين: بعد ديني يربط الأطلس بالأرض والسماء كإله، مما جعل بلاد الأطلس يقال عنها بأنها بلاد الله وهذا ما جعل ابن تاشفين يسمي عاصمته مراكش(Amour/ Yakoch) أي بلاد الله. ونجد أيضا رسوما للحيوانات والناس على الأحجار وهي تحمل الكرة على رأسها، هذه الرسوم يعود تاريخها إلى ستة أو سبعة آلاف سنة قبل الميلاد، هذه المعتقدات جعلت المجال الأمازيغي يأخذ بعدا كوسمولوجيا: القبور، الأضرحة، المنازل. أما البعد الثاني فيرتبط بالأشكال الهندسية المميزة للفنون الأمازيغية. والبعدان المذكوران،كلاهما، يرتبطان بالعين. ويبدو لي أن معرفة النسق الرمزي الأمازيغي هام جدا لفهم الثقافة الأمازيغية. وهذا ما سأركز عليه عندما سأتناول المجال الأمازيغي والفنون الأمازيغية في الحلقات القادمة.

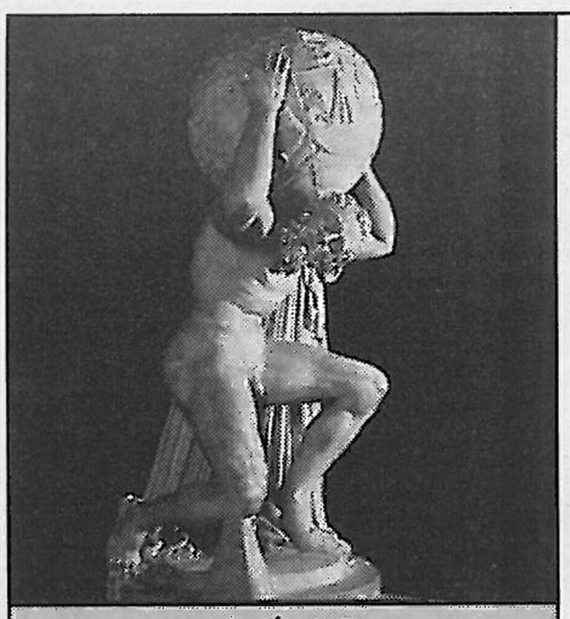

الإله أطلس

المراجع:

1ـ محمد مجدوب: المغرب القديم و العالم المتوسطي. مجلة حفريات مغربية.العدد الأول.دجنبر 2001.ص18ـ19.

2ـ نفس المرجع. ص 25

3ـ نفسه ص 16.

4- Malika Hachid : Les premiers berbères entre Méditerranée. Tassili et Nil. p. 124. Edisud. Aix-en-provence. 2000

5ـ محمد مجدوب. نفس المرجع، ص 24

6- Encyclopédie Berbère : (mot Atlas)

7- Gabriel Camps : Les berbères. Mémoire et identité. 3ème édition.Edition errance.p. 145.

8ـ محمد مجدوب. نفس المرجع. ص 25

9- Malika Hachid. Ibid. p. 302.

10ـ محمد مجدوب. ص 24.

صوت الإختلاف

أضواء على الليلة السوداء بالبيضاء

لايكمن لكل ذي عقل وضمير، أي لكل إنسان، إلا أن يستنكر ما حدث يوم 16 ماي بالدار البيضاء، وهو مؤشر نوعي خطير على تطور إيقاع العنف. وما يبعث على القلق الفكري أن مخططي هذا العمل الإجرامي يتبنون إيديولوجية لا مكان فيها للآخر والمختلف في تأويل خاص للدين، كما أنهم وجدوا أمامهم تربة خصبة ساعدت على نمو الأفكار / القنابل التي يزرعونها.

لكن هول الصدمة لا يرجع إلى استعمال العنف في نشر الأفكار، ولا إلى طبيعة المنشآت المستهدفة، ولا إلى ارتفاع عدد الضحايا، وإنما إلى معطى جوهري غاب في كل الأحداث التي عرفها المغرب من قبل، وهو كون منفذي هذا المشروع " اختاروا" التنازل عن حياتهم لتبليغ الرسالة الدموية، أي أن العنف موجه إلى الذات قبل أن يكون موجها إلى الغير، وهذا المتغير النوعي يتطلب وقفة تأملية لفك طلاسم هذه الرسالة الإنتحارية.

فمن جهة، أبان الخطاب المخزني عن تهافته وهو يحاول إرجاع ما حدث إلى زيادة مساحة الحريات ، والدور السلبي للصحافة المستقلة التي تركز – في نظره – على المشاكل وتضخمها وتتجاهل المنجزات، وعدم قيام المجتمع المدني بدوره كاملا في التأطير والتوجيه السليم. وفي هذا الاتجاه تابعنا باستغراب تلك "المناظرة السوريالية" في البرلمان حيث الوزير الاشتراكي يفسر اتساع الهوة بين الفقر المدقع والثراء الفاحش على أنه مشيئة إلهية، ومستشهدا بالقرآن لتبرير دعواه (منطق الخطاب الأصولي)، بينما انبرى النائب الإسلامي لتفسير ما حدث بإرجاعه إلى الواقع الإقتصادي والإجتماعي (منهج الإشتراكية العلمية)!

ومن جهة أخرى، ركزت جل المقاربات الصحفية في محاولتها لفهم ما جرى على الأسباب المباشرة مع التركيز على عامل دون غيره، مما أوقعها في السطحية والإختزال. وهكذا خرجت بنتائج لا يمكن الإطمئنان إليها كالقول إن ما حدث يحمل بصمة الإرهاب الدولي، أو أن الحركات الإسلامية ملة واحدة لا فرق بين " التكفير والهجرة " والبديل الحضاري " ... وغيرها من الخلاصات المتسرعة.

وفي نظري فما حصل – وأنا أسعى للتفسير لا التبرير – هو نتيجة لمخاض مجتمعي طويل عنوانه الإحباط واليأس وفقدان الثقة في المستقبل، وتربته الفقر والتهميش والأمية، في مناخ عولمة غربية عاتية تعبث بالإنسان (لنقص المناعة المكتسبة لديه : الثقافة) كما الريح بنوافذ منزل مهجور. لذا كان من السهل على أشخاص متطرفين وعصابيين (وهل يخلو مجتمع منهم؟!) أن يقطفوا شبابا في عمر الزهور ويحكموا عليهم بالذبول. لقد قاموا بتعبئتهم – لأن مدارسنا وإعلامنا وأحزابنا فشلت في ذلك – كما تعبأ قنينات الغاز، وهم متيقنون أن حرارة الواقع ستدفعهم إلى الإنفجار لإحداث الدوي المطلوب لتحقيق متعتهم المَرَضية .

ولا خيار لمواجهة مد التطرف – مهما كان القناع الذي يتلبسه – سوى إصلاح التربة التي تساعد على نموه من خلال إعادة الأمل للأجيال الصاعدة التي فقدت الثقة في كل شئ وأصبحت مستعدة للإرتماء في أحضان البحر (قوارب الموت) أو التطرف (العنف المادي والمعنوي ورفض الحوار والإختلاف) هروبا من جحيم الواقع وبحثا عن "جنة موعودة". وكل محاولة لاستئصال النبتة دون إصلاح التربة محكوم عليها، مسبقا، بالفشل.

لقد دخل العالم –والمغرب جزء منه– منعطفا حاسما وضعه أمام رهان صعب: فإما أن ينتصر صراع الجهالات وإما أن يتغلب حوار الحضارات. في الحالة الأولى تبدو الحقيقة مطلقة ويفرضها القوي، وفي الحالة الثانية هناك حقيقة نسبية يدافع عنها الحكيم بالحوار.

رشيد الموساوي

بيل غيتس:
الرجل الذي كان حلمه: «حاسوب في كل منزل»

رضوان أجار

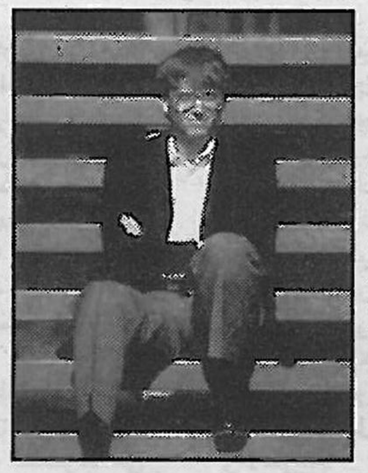

التحق بجامعة هارفارد، وكان ذلك مكافأة له على تألقه الدراسي بـ «ليكساید Lakeside School»، حيث شكل رفقة بول ألين (شريكه لبقية حياته)، وريك ويلاند، وكيف إيفانس مجموعة ليكساید للبرمجة Lakside Programming Group التي كانت الإنطلاقة الأولى نحو العملاق العالمي «مايكروسوفت» Microsoft. كتب في ليكساید برنامجا حاسوبيا– حينما كان الحاسوب حكرا على الشركات والمؤسسات– لتنظيم استعمالات الزمن ليدرج أجمل الفتيات في قسمه. وتحول تدريجيا من أذكى طالب في ليكساید، بشهادة أساتذته وزملائه، إلى تصدر لائحة فوربز ttp://www.forbes.com (Farbes2002–H) (لأثرياء العالم بـ58.2 مليار دولار.

اسمه الكامل وليام هنري غيتس، ولد في سياتل (واشنطن) في 12 أكتوبر 1955. لاحظ والداه عدم اكتراثه بدراسته خلال المرحلة التعليمية الأولى، فألحقاه بمدرسة ليكساید الخاصة في سن الثالثة عشرة، في السلم الثامن. اقتنت مدرسته حاسوبا جعله يبدي شغفا منقطع النظير بأساسيات التكنولوجيا المستقبلية الجديدة، حيث كان بيل هو مخترع الحاسوب الشخصي (PC : Personal Computer)، وكان الحاسوب قبله مقتصرا على الشركات والمؤسسات، فأينع في مخيلته حلمه الأكبر: "حاسوب في كل منزل"، وحقق حلمه بذكاء لافت ليصبح واحدا من أشهر وأبرز شخصيات عالمنا الحديث.

إن الحاسوب الوحيد في ليكساید، والوقت الضيق المخصص للطلبة، لم يحدا من رغبته الجامحة في سبر أغوار صديقه الجديد (الحاسوب)، فراح يتعلم لغة البرمجة Basic من خلال الكتب التي اقتناها، ليبحث بعد ذلك عن فرص للبرمجة في شركات أخرى مقابل المزيد من التمرس والدراية والإكتشاف وبدون أن يتقاضى أية أجرة عن ذلك. وكانت فرصته الأولى مع شركة C–Cube حيث تعلم لغات برمجية مغايرة مثل PDP–10 و Lisp و Fortran. وقد منح في ليكساید مبلغ 4200 دولار مقابل برنامجه الخاص باستعمالات الزمن، كما برمج أيضا TARF–O–DATA لـ"مؤسسة السير الطرقي في واشنطن".

أنهى دراسته في ليكساید فالتحق بجامعة هارفارد.. وما أدراك ما هارفارد! ، حيث انتبه مبكرا إلى عجزه على مسايرة "شياطين" هذه الجامعة الراقية. لم يحب غيتس أناس الحاسوب وإيقاع الدراسة بهارفارد، فقرر الإنقطاع عن الدراسة بها.

ومع ذلك لم يخرج خاوي الوفاض من جامعة "العباقرة" بامتياز، بل غادرها وفي مخيلته الفكرة التي ستغير وجه العالم برمته في جميع الميادين، فكرة الحاسوب الشخصي التي نحت معالمها في أحد أروقة هارفارد قبالة الصفحة الأولى لمجلة Popular electronics magazine التي كانت تعرض صورة Altair Kit لنموذج تدريبي لتركيب أجزاء الكمبيوتر. فركب حاسوبه الخاص مستعملا Intel 1K–8008. وأعطي فرصة لعرض حاسوبه لكنها باءت بالفشل.

بعد ذلك مباشرة اتصل بيل بـ Ed–Roberts في Mits Company ليعرض عليه برنامج Basic الخاص بـ Altair، وهو النموذج الذي استوحى منه فكرته. التحق غيتس بـ Aluburqueque للعمل مع Mits على نظام Altair. وبعد سنتين في Mits، حيث صقل أفكاره، أسس Microsoft في Aluburqueque بـ نيوميكسيكو (1975). يوم الفاتح من يناير 1979 نقل مقر مايكروسوفت إلى سياتل، حيث مازال مقرها الرئيسي حاليا. وكان الإنتقال مجرد خطوة للبحث عن المزيد من اليد العاملة الرخيصة، إذ كانت مايكروسوفت مؤلفة من 16 موظفا فقط. وكخطوة ناجحة أعد بعد ذلك Ms–Excel و Ms–Word. في عام 1981 اشترى SCP–DOS من شركة Seattle Computer Products ليغيره إلى Ms–Dos وهو النظام الإجرائي Operating System الذي سوف تستخدمه بعد ذلك أكثر من 70 من حواسيب العالم. كانت الإنطلاقة الصاروخية لمايكروسوفت في نفس السنة (1981)، حينما أبرم غيتس عقده السحري مع IBM لإنتاج أول حاسوب شخصي IBMPC العامل بنظام SPC–DOS الذي لم يكن سوى نسخة منقحة بعناية فائقة من النسخة MS–DOS التي اشتراها قبل ذلك. وقد تلاحقت إنجازاته بشكل مبهر ومثير، ففي سنة 1983 كانت الفأرة (La souris)، وفي سنة 1990 (Windows 3.0) الذي نال رضى وإعجاب الجميع لما قدمه من تسهيلات كبرى لطريقة التعامل مع الحاسوب.

أصبح بيل غيتس مليونيرا في سن الواحدة والثلاثين. انخرط في نادي Gestionaires Club لأثرياء الولايات المتحدة ليصبح أغناهم جميعا. في يونيو 1992 منحه جورج بوش الأب الوسام الوطني للتكنولوجيا Natioal Medal of technology، وفي 1994 عقد قرانه مع ميليندا فرينش Melinda French وهي إحدى العاملات في مايكروسوفت.

ويظل السؤال مطروحا: من هو بيل غيتس؟ هل هو أغنى أم أذكى رجل في العالم؟ إنه مجرد رجل بسيط دافع عن حقه في تحقيق حلمه، وسوف يذكر التاريخ بيل غيتس كرجل من الرجال القلائل الذين غيروا وجه العالم. لقد ارتقى بالحاسوب من الطابق السفلي الخاص بالشركات والمؤسسات إلى الطابق المنزلي:(حاسوب في كل منزل)، وحقق حلمه في الدول المتقدمة على الأقل. لقد كان لبيل غيتس التأثير الأكبر في طباعة طريقة عالمية جديدة للتعامل مع المعلومات. وهكذا تغير المجتمع برجل ذي نظرة!

وجهة نظر:

الحركة الأمازيغية تتجاوز الأحزاب المغربية

تعاملت النخبة السياسية مع القضية الأمازيغية بشكل أخرق، فهي تحاول طمسها تارة، وتارة أخرى تعتبرها بدعة، وفي كل الأحوال ترفض مناقشتها بشكل هادئ. وأمام هذا الوضع المتشنج فإن ما كان مطلبا ثقافيا تحول إلى مطلب سياسي يمكن أن يعصف باستقرار البلاد لا قدر الله.

إن المسؤول الأول عن هذا الوضع هي الحركات التي حاولت تذويب المغرب في عالم عربي أسطوري دون مراعاة خصوصياته، وأهمها أن الأمازيغ هم سكان المغرب الأصليون، وأن إسلامهم لايعني تعريبهم، ونقصد بهذه الحركات كل الأحزاب والتنظيمات السياسية بدون استثناء.

لقد تشكل الفكر السياسي المغربي حول أكذوبة "المغرب بلد عربي مسلم"، واعتبر أية محاولة للدفاع عن الهوية الأمازيغية هي محاولة لتقسيم الأمة. وما شكل جدار برلين مغربيا، هي أكذوبة القرن المسماة ب "الظهير البربري". و كانت مناهضة هذا الظهير منطلق الحركة الوطنية، وبعد ذلك أصبح كل نشاط للحركة الأمازيغية ينعت بمحاولة إحياء هذا الظهير.

لقد لعبت الأحزاب المتشبعة بالقومية العربية دورا هاما في ممارسة التضليل السياسي والتدجين الفكري بخصوص القضية الأمازيغية. بحيث تجندت عبر تاريخ المغرب المعاصر لمحاربة كل الطروحات الرامية الى جعل الأمازيغية تحتل موقعها الطبيعي، كما تعاملت مع حاملي همها تعاملا إنتهازيا. وفي مقدمة هذه الأحزاب قائد عملية التعريب، حزب الإستقلال الذي استعمل كل الوسائل للقضاء على الأمازيغية، إذ تجاوز إبادة اللسان -إلى إبادة الإنسان (أحداث الريف 58–59).بالإضافة إلى حزب العدالة والتنمية، فرغم الموقف الإيجابي الذي يعبر عنه أمينه العام د.عبد الكريم الخطيب إلا أن أعضاء داخل قيادة الحزب، وفي مقدمتهم العثماني وبنكيران بالإضافة الى الريسوني رئيس حركة التوحيد والاصلاح التابعة للحزب، يشكلون جبهة قوية لمناهضة الأمازيغية.

هذا ما جعل الحركة الأمازيغية تتجاوز الأحزاب المغربية وترفع مذكرة الى الملك الراحل تطالب فيها بدسترة الأمازيغية. وستشكل معركة استصدار دستور ديمقراطي شكلا ومضمونا، يقر بأمازيغية المغرب في أفق التعديل الدستوري القادم، محكا حقيقيا للحركة الأمازيغية، وفي الجانب الآخر فإن الإسلاميين وحزب الإستقلال يتهيأون لحرب استنزاف برلمانية حول التعريب والهوية. لذا فعلى الصف الديمقراطي ألا يقف متفرجا، فالمعركة أساسية وهي التي ستحدد معالم مغرب الغد. وبالتالي لا يجب ترك مسألة الهوية للأصوليين للحسم فيها.

محمد البصموسي– آيت حذيفة

الوشم... جرح الكتابة والألم

يمكن أن نفهم منذ الوهلة الأولى أننا نسعى إلى تعريف الوشم وتحديد مجاله تحديدا مباشرا، إذن : كيف ظهر الوشم وأين؟ وما الذي يعنيه عند مستعمليه ؟

لقد ظهر الوشم وانتشر في البلاد «البربرية» القديمة، وقد عرف من قديم الزمان وهناك الملايين من الناس الذين استخدموه، ولكن اكثر من نصفهم يشعر بالندم لوضعهن وهو عبارة عن وضع أنواع من الحبار على شكل كتابات أو رسومات على الجلد بواسطة الوخز بالإبر.

وغالبا ما يخترق الوشم طبقة الجلد الخارجية، فكانت إزالته بالأساليب التقليدية مثل الجراحة والحرق والشفرة ووضع الليمون حيث يترك ندبا وآثارا غير مستحبة.

عندما نعود الآن إلى الذاكرة ، ذاكرة النساء بحثا عن الدلالة والمعنى في الوشم نجد أن أغلب الآراء التي تم جمعها تتمحور حول تحديد فهم خاص للوشم فهو عبارة عن خاصية تتميز بها المرأة أو مجرد لعب في أجزاء الجسم، إنه مضيعة للوقت. إنه حرام، مجرد تفاهة، إنه تشويه للصورة التي أحسن الله إبداعها وهو ما يظنه البعض سببا في جلب السخرية والضحك، أما البعض الآخر فيرى أن الوشم غير محرم وأنه رمز المرأة الأمازيغية والعربية، إنه أداة للتمييز بين نساء اليهود ونساء المسلمين، كما أن الوشم عبارة عن أداة للتجميل: يزيد من جمال المرأة (خصوصيات ذات البشرة البيضاء والشعر الأسود...)

إذا تجاوزنا الوظيفة التحديدية والمظهرية للوشم، وانتقلنا للبحث عن دلالات أخرى للوشم سنجد أنه يعكس تلك القدرات على حفظ وصيانة التراث ، إذ أن النساء من خلاله تمكن بقدرة خاصة من الحفاظ على الحرف الأمازيغي وخاصة «تفيناغ»، ذلك أننا عندما ننقش على الجسد أو على الزربية، أو على الفخار فإننا نصون ونحفظ دلالات وألفاظ على الحياة أو منحها ، لكن لماذا كل ما يكتب على الجسد يصبح وشما، على عكس ما يكتب على الرمال أو في قمم الجبال أو الجدران...

إن الكتابة تعبر تعبيرا عن المواقف كالأفراح والأحزان، والآراء... ، إذ بالكتابة يمكن تحقيق التواصل . كما أن الكتابة عبارة عن سجل ، يحفظ من النسيان والضياع. فإذا كان المرء يجد صعوبة تعلم الكتابة في الصغر، فإن الوشم بدوره على الجسد لا يخلو من ألم.

أما فيما يخص علاقة الكتابة بالوشم ، فهي تستدعي التفكير في الجسد أي التفكير في الموضوع.

أما فيما يخص الأماكن المخصصة لهذا الوشم نجد (الذقن، الجبين، اليدين، الأنف، الظهر...)، إن كل جغرافية الجسد يتم النقش فيها ، فالإنسان حيثما حل يكتب وينقش ويترك أثرا (كالجدران، الجسد، الأغصان، السجون..)

هنا نجد أنفسنا أمام صفات متوارثة جيلا بعد آخر، وفي توارثها تستمر الذاكرة وتمتزج بالتاريخ لتعانق الحاضر وتجابه لحظات تحولات الحاضر. فمن بين المواد المستعملة نجد الفحم ، الماء، وبعض الأشواك الحادة (أشواك الصبار) أو الإبر ، إنها مواد أساسية لصناعة الوشم .أما الطريق فقد كانوا يضعون حجرة متوسطة الحجم ومسطحة، ثم يضعون بعض القطرات الصغيرة من الماء على هذه الحجرة، ويقومون بحك قطعة الفحم على هذه الحجرة حتى يحصلوا على مادة لزجة وذات لون أسود، وبعد ذلك يحددون ويرسمون الوشمة المختارة على الجلد في المكان المقصود، حيث يأخذون عودا صغيرا ويرقمون به أشكالا مختلفة من الكتابات أو الرسومات على الجلد.

بعد ذلك يأخذون بعض الأشواك الحادة ويكون رأسها كالإبرة، يقومون بجرح المكان المنقوش حتى تخرج الدماء، وبعدها يضعون تلك المادة السوداء في الجرح، وخلال لحظات يتعرض المكان للانتفاخ وبعدها يصبح الجلد مريضا، بعد مرور أسبوع يشفى الجرح ومن تم تظهر الوشمة المتألقة بلونها الأخضر واللامع ، وبالتالي ها نحن أمام الوشم الذي يضفي الجمال على المرأة وعلى جسدها .

فإذا كانت المرأة قديما تتهافت وتتسارع من أجل الوشم فإنها الآن في حركة عكسية إذ أصبح بعض النساء يقمن بعمليات تجميلية لنزع هذا الوشم من وجوههن عند الأطباء في البلدان المتقدمة.

لطيفة بلقائد : الدريوش– الناظور

كلمة

ترمي هذه المعالم الإبداعية إلى تعزيز الصمت الحقيقي، ذاك الذي يداهمنا، مثل نشوة شاهقة، كلما أنهينا قراءة نص ما كنا نبغي له الإنتهاء. صمت نقدره و نبجله، ونهتف لخالقيه و مبدعيه . أما ذاك المفروض علينا بعد كل خطوة فلن نتخلص منه قبل ورود نصوصكم الهاربة من الضوضاء، نصوص تحلم أن تحدث كثيرا من الصمت، وأن تنقذ قارئها من لوثة التكرير الضاج بالأصوات... لنفرق الجوقة أولا، و لنمدح عزلة الضوء ما استطعنا الخلو بها قليلا...

قصة:

العودة... إلى المستقبل

لطالما سمعت بأن المشي من أحسن الرياضات. إيوا الله يلعن اللي كالها. لو كان الأمر كذلك لكان المجانون والمعطلون وحملة الشهادات من أحسن الرياضيين، ولكانت هذه البلاد معهدا للرياضة والعدائين...

إنها الثانية زوالا، ولا أزال أمارس رياضة المشي مع صديقي محمد. علنا نصطدم بإعلان عن عمل... إنه عامنا الثالث من الإدمان على المشي، ونحن جد متأكدين أنه إذا استمر الحال على هذا المنوال فأمر من اثنين: الجنون أو الإنتحار... وواحدهما أمر من الأمر...

محمد! محمد! شوف اقرا هاداك الإعلان...

أجبته ببرودة أعصاب: "إينا إعلان؟". دون أن أغير منحى بصري...

المسكين محمد، لقد فضل الجنون على الإنتحار، وبدأ يرى سراب العمل لا سراب الماء في الصحراء...

محمد! والله إيلا إعلان، وآخر أجل اليوم مع الستة د لعشية!

رفعت بصري لأجد أمامي لافتة كبيرة كتب عليها:

المستقبل للمقاولات ش.م

تطلب الشركة .....

تطلب ما تطلبه، المهم أنه عمل...

دخلنا باب "المستقبل"... رجل جالس على مكتب صغير، أمامه كم هائل من الأوراق و الملفات... قبل أن نلقي عليه بالتحية سبقنا بالقول: " إيلا كان عندكوم تلاتين عام ما سيرو في حالكوم، راه كاينة واحد القهوة قريبة من هنا... ورخيصة!"...

ثلاث سنوات من المشي كانت كفيلة بأن تقتل الغضب وتجعل الدماء ماء. أجابه صديقي و الفرحة في عينيه: " لا، لا عندنا غير ستة وعشرين!"

"اهدر غير على راسك!"، أجابه صاحب الأوراق الكثيرة... "قربوا هنايا باش تكتبوا الأسماء ديالكوم في اللائحة...".

اقترب محمد أولا. كتب اسمه وبعض الكلمات. لا أعرف ماذا كانت. ثم وقع كالعادة منذ ثلاث سنوات.

جاء دوري الآن... لم يبق لي مع رياضة المشي إلا ثلاث خطوات هي تلك التي تفصلني عن اللائحة. كانت الخطوة بسنة: خطوة. اثنتان. ثلاث... القلم في يدي. أهم بالكتابة، فتتجمد أصابعي... اكتشفت أن ورقتي تحمل رقم 25 بعد الألف! و ش.م تطلب ثلاثين شخصا من بواب الشركة إلى سكرتيرة المدير... ألقيت بالقلم أرضا و خرجت قافزا ضاحكا كأنني فزت بجائزة "اللوطو"... تبعني محمد: "مالك؟ ياك لباس؟ علاش ما عمرتيش؟!!". سألته عن الرقم الذي كان بجوار اسمه. فقال لي بأنه لم يره. فطلبت منه العودة للمستقبل و التأكد من الرقم.

كأن هذا آخر ما طلبته منه عبر مشوار صداقة وزمالة دامتا لأكثر من عشر سنين مضت. عاد المسكين. لا أعرف ماذا حدث بالداخل، ثم خرج كأنه مومياء، هارب من الهرم الثالث... لم ينبس بكلمة واحدة ولم أسأله نصفها. قطعنا الطريق للوصول إلى "القهوة الرخيصة" فإذا بابن المستقبل يصدمنا بسيارته/الدبابة. لم أعرف أنه ابن المستقبل إلا بعدما خرجت من المستشفى. خرجت بمفردي لأستمر في المشي وحدي. فالمستقبل قتل رفيق المشي ورفيق المحنة والبطالة والإسم...

وها أنا أمشي، ولا أزال أمشي... إلى أين؟! إلى متى؟! أسئلتي لا تنتظر الإجابة...

منير الصميمي
Rifichico17@caramail.com

زجل:

غير خليوني في حالي

• حسن بودوح

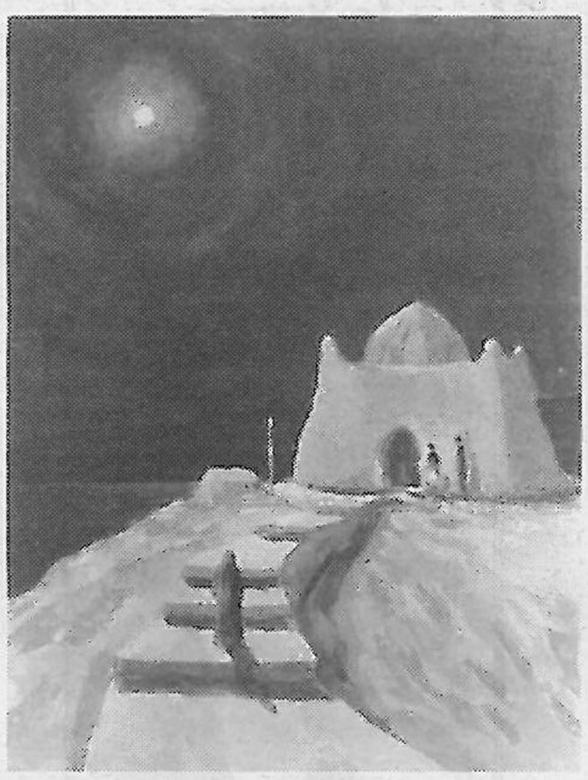

فالغربة مشات أيامي حالكه
وفي بلادي الطرقان ما بقات سالكه
فيها فنيت شباب عمري في ثواني
وفي الغربة الشيب فات أودعاني
وعلاش أنا غريب في أوطاني؟
هجروني لحباب وخلاوني نكابد الجراح
نساوني وحرقة لفراق كوات بداني
غير خليوني في حالي غير خليوني
نحكي على همومي وأحزاني
اللي نويتو قنديل في ظلامي
لليل الحالك رماني
اللي نويتو رفيقي في الطريق
في الشدة زاد خلاني مشرد ونساني
واللي حيت ليه بالصدق والنية
بالطعنة في الظهر جازاني
سبحان الله لا هاذا هداني
ولا ذاك بغاني
غير اللي يجرح كياني
وينعتني بكلام مدموم
عديان الخير رفاق الشر
ما بغاوني نتخطر لا خطوة اللور ولا خطوة للقدام
بغاوني قاعد/ ثابت في مكاني
وغير خليوني في حالي
وغير خليوني في حالي راه اللي فيا يكفيني
وانتي يا شعاع الشمس نوري طريقي
وفكري رموز وألغاز وكلام لمعاني
يا شعاع الشمس غطيني
راني ما طالب ياقوت ولا ذهب ولا فضة
ما طالب مال ولا جوهر
طالب غير ورد وزهر ياسمين وعنبر
تنور جناني
طالب ترجع البسمة والفرحة لعيون الطفال
وتلعب الغميضة وتغني موال زماني
وعلى نغمات العود والناي
تزغرد النسا وتزين بالحلي
وبحنة بلادي
ونتمتعو جميع بشرب الحليب والتمر
وتصفى القلوب وتزول العيون
ويرجع الود والحب الصافي تاني
ويرجع الخير لوكرو والغريب لأهلو
ويزول الحقد والمرارة
وتلوح في السما خيوط لبشارة
تعطينا الإشارة
لمطار جاية بغزارة
وتخلا القمحة وتخلا القصارة
واللي دّاني وعاداني
تفتح ليه لبصارة
وانا فاش ينفعني لخصام في الحياة
ياك العمر فاني
غير خليوني في حالي وغير خليوا قلبي
يدوب في شوق الأماني

صيف 2002

مكابدات:

الجميلة

كانت تحلم بمستقبل جميل مع من يعزها و تعزه لا من تحتقره لضعف شخصيته..

جميلة كما يراها الآخرون، ولكن عمقها حزين، و قلبها الصغير الصافي لا يعرف أبدا معنى للحقد أو البغض، إنها طموحة للغاية و تحب الحياة بقدرما تكره ولادتها.. كان همها التفوق في الدراسة لإرضاء والديها قبل ذاتها، كانت تتمنى دخول عالم المحاماة بعد إكمال دراستها... و ها هي الآن، في كل لحظة و دقيقة، تتمنى الموت بدل الحياة !!

امتيقظت الممكينة على الحقيقة المرة: « كل شئ بمقابل شئ..». كيف السبيل لتحقيق ذلك الحلم الذي طالما راودها وهي تتقلب في فراشها كل ليلة بحثا عمن فقدته في بحار الظلمات..؟

رافضة لكل شئ جميل؟!!

كثيرة هي العروض التي تلقتها خلال السنوات الأخيرة، حينما نظر إليها الجميع نظرة تلذذ، كونها امرأة في الممتوى المطلوب... لكنها ليست ملعة يا من تمقت حتى اللحظة التي رأته فيها.. الرفض هو الجواب يا من لا يعرف !!

كانت مترددة، و المدة انتهت: «هل متلزم الصمت الذي يقال إنه علامة الرضى أم متقرر المصير و تخضعه في حبل المشنقة؟». اختلقت عذرا لتطلب من جديد مهلة للتفكير و الفرز.. كان لها ما أرادت، و لكن لا شيء يحسم الأمر لتنتهي رحلة العاشق الولهان على رمل شاطئ الأحلام..

لم تعد تنام باكرة كما كانت تفعل، لأنها تتهرب من الكوابيس التي تأتيها كل ليلة و هي تفكر فيما سيحصل... يمتقر جوابها الإيجابي لثوان، ثم تعود إلى حيث كانت مترددة..

« كل شيء يجوز و سيتحقق، الحياة الجميلة، الحب، التفاهم و الإنسجام ». لكن سرعان ما يتغير كل شئ بمجرد أن تعيد شريط حياتها إلى الوراء و هي تمتحضر ما سمعته عن الآفة الخبيثة، الغيرة المدمرة، تشرع في البكاء كأن شخصا ما قد صفعها، فتختفي عن الأنظار، و كيلا يسألوها عن الأسباب تتفادى الجلوس إلى طاولة الحقيقة...لا تتقن دور الكاذبة. تخاف أن تتفوه بالحقيقة فتسقط من شدة الإحباط و الحرج و الصدمة، و لن تعرف حينها ما ستفعل، لكنها تفضل الموت بدل الجواب.

مع حلول الصيف، يمتمر المطل و تطول الحلقات..

بعد غضب و قلق على ما سيحدث لها، رتبت كل شئ مقررة ما سيضع النهاية لما كانت تحلم به.. امتغلت انشغال الجميع بمخططاتهم المحظورة، كما يقولون، و راحت تلعب الدور الذي متقدمه بعد لحظات أمام المرآة في غرفتها. تركت وراءها كل ما بإمكانه أن يوقد نار الحقد أكثر في نفوس صديقاتها. تصرفت بكل توازن واثقة من نفسها، و لكن كان بداخل وجدانها و فؤادها إحساس غريب يقلقها.. عادت للتفكير مجددا فيما سيحصل قبل أن تغادر الحب الصغير و الطاهر الذي يشغلها عن هموم الحياة و قمومتها.

رن الجرس فكانت الطامة الكبرى، رمقته بعينيها، و بدأت في البكاء و الإرتعاش.. تساءلت إن كان بإمكانها أن تعترف بما يخالجها من شعور قوي: رغبة في البوح، و رغبة أخرى بالصد.. كان كل شئ على ما يرام وهي تهم بالخروج، و لكن سرعان ما انقلب الأمر بمجرد أن تصفحت مجلة اشترتها موخرا.. صدمت مما تراه، إنه وجهه ومط بعض الزميلات كما يسمينهن.. تظاهرت بالمرور لكونه أصبح ذا مركز عال.. لكن ما زاد الطين بلة هو رنين الهاتف المحمول الذي جعلها تكتشف ما لا يصدق، لتضع علامة سوداء في سجله، و نقطة نهاية على مقرراتها و ذكرياتها اللامبتدئة.

آه.. ثم آه.. كأن الأمر يتعلق بنيل جائزة عن سباق مسافة.. لن تنتهي.. إلا بتوقف النبض..

أرادت أخذ رأي شخص أحبته و احترمته لتواضعه و تفاهمه، وضعت فيه كامل ثقتها، إلا أنها لم تمتطع بعد أن تعترف له بما يحرق عمقها من تصورات و ما يفرضه الآخرون عليها.. كلما اقتربت و حاولت الصراخ إلا ووقفت في حلقها غصة تمنعها عن ذلك.. حاولت الإتصال به دون جدوى.. لا رقم.. لا عنوان.. ومع بداية الموسم سيكون كل شئ قد فات.. خافت أن تفقد سجلها ..؟! ثم عادت ممترملة في حديث لها عن نفسها: « سيكون ذكرى لإنسان تفهمها أحيانا وغابت عنه الحقائق أحيانا أخرى ». تعترف بكونها، منذ الولادة، لم تجد من يدعمها و يشد على أيديها بحرارة، فراحت تنشط و تغني و تكتب.. ثم وجدت الذي تتمنى ألا تنقطع الإتصالات به إلى حين وفاتها، و هذا شئ يسعدها كثيرا لأنها لن تعيش أطول بألمها العميق و نبض شرايينها الضعيف..

إنها ما زالت تعيش على نغمات حلم رومانسي، تتخيل نفسها زوجة القيصر. الكلمة لها و الأوامر منها. ظنت أنها سيدة نفسها في آخر الزمن.. تعلقها بالمسلسلات المكسيكية، بنهاياتها السعيدة المعتادة، زادها رومانسية و حبا للعشق و الهوى. لكن الحقيقة صدتها، ولم تكتمل قصتها الجميلة التي نسجت حلقاتها من خيال... انهار الحلم.. !! تفاجأت كأخواتها بالخاتم الذهبي، هدية لشبابها الذي سيضيع دفعة واحدة، سيذبل في ذلك القصر... لا تعرف شيئا مما يدور حولها، لم تعرف ما الذي يحصل أمام أعينها و هي ما زالت مسافرة في عالم السحر و الحب..اكتشفت بالصدفة أن كل شئ كان مخططا له قبل أشهر، و هي الآن مازالت ترفض كل حقائق الدنيا، و تتمتع بأيام دراستها التي كانت قد أوشكت على الإنتهاء، و كانت متودع من رافقتهم خلال مئة جميلة بتياراتها و بطولاتها.. بندواتها و تدخلاتها القصيرة التي يكون الهدف منها هو وضع كلمة حب في الخانة التي تمتحقها...قلقة و حائرة.. تطلب مهلة من التفكير ليكون الجواب واضحا..

متضيع الفرصة ؟!

تعود وتقول، تاركة المجال لكل من يقرأ أوراقها: «ليس المال كل شئ، فهو لا يشتري السعادة لشخصين.. مأتجول عبر العالم إن أردت؟! و لكن بدون رغبة في ذلك، لأن أحاسيسي متموت بداخلي.. مأصبح غنية الغنيات، و لكن فقر إنسان حر طليق يعادل أموال الدنيا كلها...مأقود السيارة التي كنت أراها فقط في مجلات الموضة أو على شاشات التلفزيون... الخادمة... المائق لحظة الإرهاق... و لكنني مقيدة بعقد مكتوب على ورقة! هل بإمكاني أن أحرقها فينتهي الأمر؟ ».

جواز السفر..التأشيرة.. بطاقة الطائرة.. كل شيء متفق عليه..

عار على من يدفعها للجنون و الموت البطئ...

فائزة أمزيان

شعر:

كل شئ من أجلك

سأفتح لك جبهة أخرى
ليقول قلبك ما يشاء
وأحرر
لك.. كل البقاء و القلاع.
كل السجناء...
ليقول قلبك ما يشاء
يا امرأة
ليست كمثل النساء.
سأهدي لك خصلات شعري
كلها بدون استثناء.
سأمنح لك أيامي كاملة
فصولي. أعوامي..
من ربيع. خريف
صيف و شتاء..
كل قصائدي
كل أبجديات اللغات
من الألف إلى الياء.
يا زهرة قلبي
فقط... امنحي لي حبك
ألم حضنك
متر أشاء.

فريد الحمدوي

•••

أوقدي شموع ولادتي...

اليوم احتفلت بعيد ميلادي
فرحت أستعرض شريط حياتي...
كانت ولادتي
حسب أقوال جدتي
في يوم غبوس
زمهرير
ممطر...
لم تسكت صرختي
مذ نزلت من بطن أمي
لأني لم أعترف بوجودي
في اليتم
ميتورا من هويتي
ولأني لم أشأ
أن تزغرد أمي
فرحا بمجيئي
إلى دنيا تتأهب من حولي
لتشييع جنازتي...
يا أمي
لا تبحثي كثيرا عن اسمي
ولا تبكي لرفضي
توقيع شهادة ميلادي
في يوم
كانت فيه وفاتي...
عاهدت نفسي
ألا أفعل
حتى أتحقق من ذاتي
حينها فقط
سميني بما شئت
وأوقدي شموع ولادتي...

عبد المنعم البارودي

Awal useɣdi

Tifraz-a usneflul rezzunt ad-ssemɣarent aseɣdi bu tidetč wen ɣarneɣ d-itasen, am tzurift ufella, melmi ma nekkes tiɣuri n ci n tira ur dasent nrezzu qeḥḥu. D-ij useɣdi! Nteggas luwqar d usemɣar... Netbarraḥed i yemsneflal d ayt-bab ines. Maca aseɣdi nni ixneɣ d-iweṭṭan melmi ma neksi ṣurif, ur z-ges nteffeɣ ḥama wḍentid Tira nkum id-iregwlen zi driz, Tira-ya nessitim-asent ad-ggent aseɣdi d-ameqran, ad-fekkent ameɣri nsent zeg uxiccu n driz icemxen... G umezgaru anebḍa jjuqet, ad-nawi x tfawt mecḥal ma nezmar akides nennuffar...

Tanṭulujit n yezlan nsent

Jar i tmessi d waman

1. Tawarɣit
Wig isḍuqẓen lmecc?
D-tiḍuḍin n pluma!
Dfin* inu ikmeḍ
Leḥmila* inu tarɣa!

2. Rid d-ij
Aya lḥub m-lleɛruq
Yemmewḍan x arebɛa
Ij n lḥub umuni
Ij n lḥun n arriḍa!!

3. Tyawant
A Rebbi wig yufin
Ad-yawi bu temja
Xayli w-ɣars imendi
Ay-isselha beɛda!

4. Tmannaḍt
Abrid n ttumubin
Inneḍ am lekbiba
Amuk d-ayi tenneḍ
Teɛdawt-a n arriḍa.

5. Asif d llif
A Melwit a leɛdu
Taqarqact n yeẓra
Iḥṭar x llif inu
Ačcxmi cem d-ɣa-yeẓwa.

6. Lefsaset
Aqay nec ugureɣ
Ḍwiɣ am celḥiyya*
A wen day ikarḥen
Gi dcar aḍ-ihenna!

7. Taslit w-aman
Aḍ qneɣ taharkust
Aḍ hwiɣ ɣa tala
Llif ɣark ateɣdared
Taɛdawt-a n arriḍa!

* Zi tmarsa n yessis n Arif

Ismawen usenhezzi n twengint (1)

Tanfust Muḥemmed Lmezdiwi
Asuɣel: Munɛim Azegza

Axxam amsilles

Uka txessi xaneɣ tfawt. Tdarraɛaneɣ tallest uxxam ag nnefs nneɣ ig isenhezza wemsagar. Teqṭuṭṭec (Nettat) am tgemmunin iffan ines, tejhed am titi n llɣa n ariḍa ig ntuc aneg s ismawen nneɣ, d-taṣemmat xmi d-nweṭṭa d-imettinen s lweḥlan, tetteḥtuḥ s uzmummeg nneɣ g umalas n lebḥar n tzurift ur iqeṭṭin. Xmi daneɣ d-itenneḍ uẓɣar, aɣar id-itasen zeg meṣṣaḍen d igencicen bla makyaj, ntaka ag ci n inaṭ, ismunayaneɣ ikesman-iftutsen, wayli yessidf-aneɣ g unagraw y-iman ines.

- Maɣar d-ay teswid zi lkas inu w-atay? Sseqsiɣt.
- Mizi rezzuɣ ataka yemmak, nettat ila yetqabalen tsufuɣed min qqarent tiṭawin inu, belli ɛemmars ac jjeɣ ategwjed xay... Necnin anemmet ag w-ayawya mala texṣed... Adẓemmeɣ tafekka inek d-lbinu i tzurifin inu, uka anḥart marra x ci id-itawin gi tarjit.

Biyya**

La d-ij, zi yen sneɣ niɣ zi yen mi-ked temsagareɣ x izurag yezdigen, ma yezmar ad-issen min-day yuɣen. Ci yedsen nnanas qa yewwiṭ uteḥteḥ..., innuɣ gi dnub ines (Dnub d-lemtiḥan amezgaru zi Rebbi Lɛalamin i bnadem, amuk iqqar Σemmi Murinu). Nnantas ci n-tmeṭṭutin n Tendint:

- Maɣar yejja Nufisa atugur weḥdes s uxiyyeq. Tesmun leḥwayej ines g ij n llilet am teslit unḍar, teḍḍuɣar awarnas taqejwawt ines tacewwaxt.
- Σemmars ma tkarhiṭ! Ṭuka akides itemẓi gi tiḥawin ines yetrun. Atext tenna g ixef ines (qa wanitin) ur d-itis ag tmurt-a.. Aṭṭas d-isegwusa iṭraja menqar ci n-tebrat azɣares d-tas.. Ar uneggaru tegga tameɣra s ufafi. Tennas ij n twessart:
- Wami ila ntarja ag-wayawya ij n tudart tic i wul nneɣ ar ttarf.. Wami ila taziri n Lḥusima x udrar n Siḍi Σabid temṣafaḍ xaneɣ s uɣemmez jar i tsegnutin iqquren, ur tufi ixef ines ar-wami tegga ciṭḥ aqeḥbiw. Aman ila d-iṣemmaḍen... Aman n lebḥar imellaḥen iggin kuffu ila ṣeffḍennaneɣ iɣarmuren iṣemmaḍen, rid ila nessen qa

taziri ad-tedwel d-tamenḥust niɣ aman n lebḥar ax-neɣ d-ejjen tukriwin nsen.

- Xayelleh inay wac tesned sennit maɣar it-tejjid atugur weḥdes, cek ig iɣenjen arriḍa ines gi qqaɛ timeɣriwin tirifiyyin? Itseqsayay Σemmi Murinu.
- Zeɛma tɣirak qa nec luxa sneɣ mimmi tejjiɣ.. uhu, uhu a Σemmi Murinu. Tarriɣ xes s tɣenfit n tɣufi.

Tasekwart**

Wami d-as ɣa iniɣ i yemma zi d-ay tesseqsa, ij n was, x ten ɣa yesmunen arwayen inu izehmen, ad-ay tessaka s lehna:

Ufiɣ ij tsekwart**

Tezmummeg, texzaray mseqqem g uɣembub. Atext rid tettiq min d-as nniɣ. Nettat ur d-as zɣil qa tella temɣart, muk ma yegga zzin ines, id-ay ɣawin; ay-ṭegg akides ayen ɣa kkeɣ ddareɣ.

- Melmi ad-tas ɣarneɣ a taddart?** Tesseqsay-ay yemma waxxa tḍar ila teffeɣ x arri n baba yesseɣden.

G ij n tidet manaya rid yeqseḥ. Mala wallu qqaɛ, d-weltma tameḍyant iɣa yeshewnen tameslayt, ad-as tini i baba "tanitin d-tameddukwelt inu". Dinni, baba ad-yeṭṭiq tawalin, ax-ay issigwej ccek ix-ay d-iṭsellaṭ melmi ma yuqeɛ ci.

- Dayek tixessar n Cciḥan**. Iqqar-ay xmi yetxiyyaq wa-yli yesɣed, zi ssin iṭɣima yetxemmam g uxiyyeq inu, tadfed yemma ùuma ad-tessexsi timessi.

Nniɣas yih! Aqay ɛad rezzuɣ gi tiḥawin n tsekwart inu x min ɣayeḥḥfen tubuhliyya inu, gi tubarkent ucewwaf ines yeqwan x min min ɣa yesnuffaren lefḍayeḥ nneɣ ig yewḍen iwessura n dcar d ibluwetman ines.

Yemma inu tarebbaùt ɛad luxa traja atḍar tasekwart inu te„ar taddart nneɣ tarifit d tudart inu yemxarwaḤen zi lebda.

tanja

Rid msagareɣ ag Muḥemmed Cukri wami xes ɣ-arzuɣ ij n-ṣbeḥ. Atext ila yeskar uka yewwiṭ yiḍes, ila tuceɣ ad-ay isselmed muk d-as ɣa ggeɣ ad-gelmeɣ iḥenfifen n tmeṭṭutin xmi tnuffurent gi lḥeṣran s titi-yiles ig isteḥtuḥen.

Sseqsiɣ xas aqehwaji n lbar (nni) ixxicwen, zi d-as ggiɣ g ufus ij n lkiɣeḍ n miyyatalef bessiḥa, yared xay s n tezdat n tmijja am ten n-calti tawessart m-tmegga iḥarmucen imeḍyanen:

- Mayma yella ci n ijjen irezzu xes.

G izurag n tendint-a timɣarin qqaɛ tawintid g wayawya. U nec irezzun mani ɣa ssarseɣ ḍar, ila qqaɣeg g ixef inu: "Ad-cuceɣ x marra tinn ig it-ɛarmen". Tameddukwelt inu tarebbaḥt iɣarqen g tesmitin ig ineqqen, ila tcuc g ujenna x min isḍarɣalen tiṭṭawin inu, itṣellaṭint ɣir xas (nettat) waha..

**Tirja ubuybeɣ (Aḥlamu lhudhud): Tinfas n Muḥemmed Lmezdiwi, Taddart n Gilgamic, Taẓrigt tamezgarut,paris, Yunyu 1995, Isebtar zi 55 ar 58.*

*** Amya s tmaziɣt gi tenfust n Lmezdiwi.*

Arecmeɣ cal ixef teggured

Jjay aḍruɣ waha
War qqareɣ ca maɣar,
Nec war ɣari ḥed
Deg ul ad-ay yawi lxaḍar.

La ksiɣ la ssarseɣ
Lbal inu akiḍek
Iraḥ yugel...
Uḍem inek lebda ibed
Jar i tiṭawin inu
Netta iggur imeɣɣar
Itijjayi nebla yiḍes
Ar d-ɣa-yali lefjar...

Ssitimeɣ tamara-ya
At gura s ij n ssar
Ad yili d-aɣennij yefsusen
Deg wass id-iɣa-neg urar.

Arecmeɣ cal ixef teggured
Huma war d-ay-itweddar
Mala war-ci-wiyyeɣ
Niɣ nec uffuɣd ugureɣ
Σad ad-yas ij n wass
Ad-yas ukemmuḍ useqsi
X leṭbab d tarwa n dcar:
Cek d-aseqsi ameqran jarasen
Waxxa deg ul inu yeffar!

Saɛid Σebbuti: Tafarsit

Tinuɣin

Qqaɛ min d-ayi teqqar-ed
Sneɣ ila yella
Sneɣ ila ass-a
Aḍ-yedwel d-tudecca,
Sneɣ ila tala
Teccar s tmeqqa.

Maca min ɣa yegg
Wen d-yulin... yetnekkar iweṭṭa?
Melma yeṣṣuref taṛeffat
Ad-as d-asent miyya,
Melma yenna qa yewweḍ
Itaf ɛad issenta!

Am wen yeggur-en x uḥiḍar
Tudart teqqar-as: Ḍeɣya!
Am wen irezzun x tidet
Nettat teɛyaṛ...
Tanufra.

Urus : Tanja

Lebḥar acemlal...

- A lebḥar acemlal tuɛaṛed wic ɣa-yeẓ wan?
- Udem inek d-azegza, ul inek d-abarkan,
- Iḥenjiren min ggin, gi lber trajan..?
- Trajan-c atesseɣded ḥuma ataf aḍeɛdan!

Wami d-uwḍen ar lwesṭ ur ufin bu laman
Tekkared akidsen tejjid-ten tmettan
Ug-ufin aɣira ug-ufin arawan...
Taɣarabut tarreẓ udfend kides waman,
Aressan gi tisi,
Ccinten iselman..!?

Ila ggin aḍ-awḍen ar tmurt-in i-tarjan
Aḍ-xeḍmen ɣa wrumi ma-xsen bedlen wussan,
Ussan nni isseɛdan
Daniti deg ifran..
Ussan nni iesseɛdan
Gi leɣben aɛeffan,
Maca cek a lebḥar.....
Ur da-gek bu laman!!

Belxedda Lḥusayen: Lḥusima

Kud-kud

82 isegwusa x wegraw n Rqameṭ

Tegga tseqqamut n Mulay Muḥend i wdus jar n tmesmunin ij ugdud imγar gi lemwessen usegwas wis 82 zeg wami yetwag ugraw n Rqameṭ gi Temsaman. Manaya gi wass n 03-05- 2003, ag uɛecci,tɛarded(TMMIJT) Muhammed Yamin d Racid Raxa γa Taddart Iḥudriyyen ḥuma ad-ssiwlen x ugraw n Rqameṭ, mix d-yusa d min xes d-yusin g umezruy n Arif.

G umezgaru issiwel umebdad umsagar-a Nureddin Lemɛellem s yisem n TMMIJT, iqqaḍ marra iwḍan ila yeccuren raq umsagar, tinni d yinni d-yusin ad-ggulen s wegraw n Rqameṭ, ad-ssijjen x twengint immallen tudecca. Amuk iqqaḍ s waṭṭaṣ imesnawen umi γa yewc awal ij ij, ad yezgur ad issewel Muḥemmed Yamin x muk ila yella Arif wami ila ɛad ur itwag ugraw n Rqameṭ: amenγi d-aḍarγal jar n teqbilin, Asebbanyu ayenni yewweḍ itawi z-ges timura d wagra. Dani intaf, amuk inna Yamin, maγar itwag ugraw-a jar n teqbilin n Arif (Ayṭ wayaγer, Ibeqquyen, Ayt Σemmart, Temsaman, Ayt Tuzin, Ayṭ ziyyan...) gi tfeswin usegwas n 1921, amuk iqqar, mizi fγen yen yeggin agraw-a gi tzağit id-iγra Mulay Muḥemmed Σebdekrim Lxeṭṭabi x Refqi Muḥemmed Bulehya. G uneggaru ugraw, mig wcint marra teqbilin lɛahed i Rebbi ḥuma aḍ-munent, ad-sbeddent amenγi jarasent, at-id-arent ag Usebbanyu id-isuggen ad-igza Arif. D-manaya iγa yilin s ij n tazla tesraqa yen ila d-itenḍen i Arif aṭ-ḥewsen. Amya, ntaf ila muk γa yili Arif zi 1921 γa 1926 yused am tmeṣṣenday ugraw n Rqameṭ.

Σlayen dani ig ibed wawal n Yamin ḥuma ad-issent wawal n Racid Raxa, zi min ges d-yusin ad-neksi awalen-a: "Nec farheγ melmi tiliγ danitin.. Ixeṣṣa-kum at-snem ila yefγed ḍani g Arif ij umezruy imγar iwweḍ timura n miden, ksin zges aṭṭas, gin zges agra mux iga! maca gi tmurt nneγ tagin ad-aneγ-ṭ-sγaren... Zeg wegraw n Rqameṭ d tsawent Σebdekrim igga min ila yqesḥen qqaɛ, iwweḍ aḍ-yesmun tiqebbal n Arif ila ytettent ayawya.. S uya ntaf Σebdekrim wami γa yewc ixef ines i Fransa ijja Arif imun ikkes i Sebbanya, ur illi amuk iqqar Dabid Hart qa d-Sebbanya ig ismunen tiqebbal n Arif...". G uneggaru, aḍ ibed ...axa γa muk idwel Arif ikkunsar, yuzzeγ, ikmeḍ, ixla. Muk dewlen Irifiyyen mmendaren g Urubba, netnin ila yellan d-imezgura gi tfellaḥt. Muk idwel Σebdekrim astiqa ur illi ssa, astiqa ur ssa yekki, netta yeẓrin zik Arif manis t-icca, amuk d-as yufa zik mizi γa yeggenfa.

S uya γarneγ ma d-nesken min d-ijja wargaza ameqran mala s tidet nrezzu Arif ad-yugur azdat.

Jamal Lmeḥdali

ⵜⵉⵙⵙⵓⵔⴰ ⴰ ⵜⴰⵣⵔⴼⵜ

Isekkilen d imedya i tγuri n *Tifinaz n Arif*

Asekkil alatin	Tifina γ	Asekkil aɛrab	Amedia s tiṭ Tamaziγt	Tiγuri s ilsawen n Arif amalas	ⵙⵎⵙⴰⵡⴰⵏ ⴰⵎⴰⵍⴰⵙ ⵏ ⵜⵉⴼⵉⵏⴰⵖ
A a	ⴰ ⵄ	ا	Aslem	As(r)em/Asyem	ⵄⵙⵍⵎ
Ɛ ɛ	ⵄ ⵄ	ع	Ieda	Ieḍa	ⵉⵄⴷⴰ
B b	ⴱ ⴱ	ب	Baba	Vava	ⴱⴰⴱⴰ
C c	ⵛ ⵛ	ش	Tacelhit	(D)tacelhiṭ	ⵜⴰⵛⵍⵃⵉⵜ
Č č	ⵛ ⵛ	تش	Ičeɛčuf	Iceɛcuf	ⵉⵛⵄⵛⵓⴼ
D d	ⴷ ⴷ	د	Tamedyazt	(D)tamedyazt(t)	ⵜⴰⵎⴰⴷⵢⴰⵣⵜ
Ḍ ḍ	ⵦ ⵦ	ض	Aḍrcn	Aḍren	ⴰⴹⵔⵏ
Ḍ ḍ	ⴹ ⴹ	ظ	Taḍegwalt	(D)taḍegwac	ⵜⴰⴹⴻⴳⵡⴰⵛ
ɣ :	ⵖ :		Anebji	Anevji/Anevjiw	ⴰⵏⴻⴱⵊⵉ
F f	ⴼ ⴼ	ف	Tifraz	(D)tifraz(s)/Dɪfâz(s)	ⵜⵉⴼⵔⴰⵣ
G g	ⴳ ⴳ	گ	Agraw	Ag(r)aw	ⴰⴳⵔⴰⵡ
Ǧ ǧ	ⴶ ⴶ	ڤ	Abeǧǧac	Abeǧǧac/Aveǧǧac	ⴰⴱⴻⵊⵊⴰⵛ
K k	ⴽ ⴽ	ك	Aksum	Aksum/Aysum/ Acsum	ⴰⴽⵙⵓⵎ
H h	ⵀ ⵀ	ه	Ahidur	Ahiḍu(r)	ⴰⵀⵉⴷⵓⵔ
ḥ ḥ	ⵃ ⵃ	ح	Lehriq	Rehriq/Reḥḥiq	ⵔⵉⵃⵔⵉⵇ
I ɪ	ⵉ ⵉ	ا	Itri	Iṭ(r)i	ⵉⵜⵔⵉ
J j	ⵊ ⵊ	ج	Iǧdi	Iǧdi	ⵉⵊⴷⵉ
L l	ⵍ ⵍ	ل	Tagrawla	(D)tagɪr)awra	ⵜⴰⴳⵔⴰⵡⵔⴰ
M m	ⵎ ⵎ	م	Amalas	Amaras	ⴰⵎⴰⵔⴰⵙ
N n	ⵏ ⵏ	ن	Tanfust	(D)tanfuṣt	ⵜⴰⵏⴼⵓⵙⵜ
Q q	ⵇ ⵇ	ق	Taqbilt	(D)taqvič/taqvirt	ⵜⴰⵇⴱⵉⵜ
Γ γ	ⵖ ⵖ	غ	Aγrum	Aγ(r)um	ⴰⵖⵔⵓⵎ
R r	ⵔ ⵔ	ر	Tarifit	(D)ta(r)ifit/ Tarifect/Dăyfiṭ	ⵜⴰⵔⵉⴼⵉⵜ
S s	ⵙ ⵙ	س	Asnefful	Asnefru(r)	ⴰⵙⵏⴻⴼⵔ
Ṣ ṣ	ⵚ ⵚ	ص	Aṣenmid	Aṣenmid	ⴰⵚⴻⵏⵎⵉⴷ
Ṭ ṭ	ⵜ ⵜ	ط	Aṭmun	Aṭmun	ⴰⵜⵎⵓⵏ
T t	ⵜ ⵜ	ت	Tulifun	Tulifun/Turifu(n)	ⵜⵓⵍⵉⴼⵓⵏ
Ṭ ṭ	ⵟ ⵟ	ظ	Tiṭawin	(D)ṭiṭawin/ṭiṭṭawin	ⵜⵉⵟⵟⴰⵡⵉⵏ
U u	ⵓ ⵓ	و	Uhley	Uhreγ/Uhra	ⵓⵀⵍⵢ
W w	ⵡ ⵡ	و	Iwḍan	Iwḍan	ⵉⵡⴹⴰⵏ
X x	ⵅ ⵅ	خ	Lexrif	Rex(r)if/ǧex(r)if	ⵔⵉⵅⵔⵉⴼ
Y y	ⵢ ⵢ	ي	Taγyuit	(D)taγyuč/Taγyurt	ⵜⴰⵢⵢⵓⵜ
Z z	ⵣ ⵣ	ز	Azul	Azur	ⴰⵣⵓⵔ
Ẓ ẓ	ⵥ ⵥ	ظ	Azru	Aẓ(r)u	ⴰⵥⵔⵓ

Kkiγd ssa d ssih

Arraz n (Libris) i Σberqaḍar Benneɛli x ungal ines (Araji Azegrar)

Itwamewcas i Σberqaḍar Benneɛli, ass n 8 Mayyu aneggaru, arraz ameqran n tsekla Tahulandit (Libris). Arraz-a wani, iswan 50.000 URU, itased ad-isqar -amuk id-yusa g uneqqis n iqewwamen n Libris- s min swant tira n Benneɛli, s tzemmar ines ad-yeqqen min yellan γar min yetwarjan, s twila ines iqessen d lebni ines i wawal... Manaya d ci nneḍḍen ntaf-in g ungal umi qqaren (Araji Azegrar). Ungal-a wani ntaf dages amsagar ujemmaḍin d ujemmaḍa, imxumbal n lwacun, asufeγ n tγufawin utarras... U manaya qqaɛ itɛawadaneγ-ṭ-id ijjen zeg ueeddis n yemmas, ɛad ur d-ilul, itɛawad x babas (Cɛayeb Acɛeb) ig iṭṭarebten gi Dyana Duwm "mu cewwaf acehbar iṭ-yukaren"!

Benneɛli, izgur-as issufγed ungal ines amezgaru umi igga (Urar x lebḥar), g usegwas n 1999 ifγed usuγel ines afransis (Nuṣ a la meyγ) x Taddart n Albin Michel. Ur ntettu anini qa Σberqaḍar γares yalleh 28 isegwusa, lwacun ines fγen zi Nnaḍur ad-iɛicen gi Ruterdam zeg usegwas n 1979.

Mli nufa anγar, s Tmaziγt niγ s Teɛrabt. Araji d Wurar n mmis n tmurt nneγ, gi min yudsen zeg wussan. Wani d-alaγi n marra yen mix tɛizz tsekla tameγrabit b ṣṣeḥḥ! Yen nneḍni neqqarasen: Iteqqes-aneγ lḥal anẓar min dagneγ d-aṣebḥan innuffar... As-t-inid... qa ntakar!!?

Munɛim Azegza

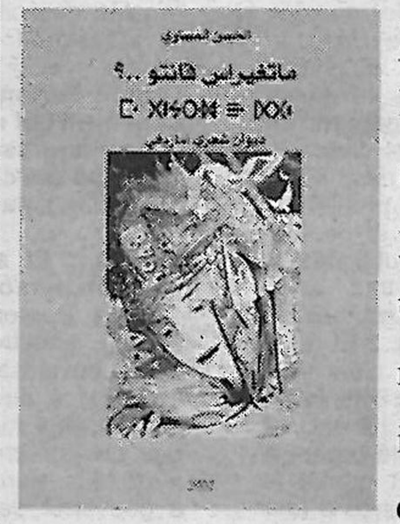

Issufγed umizri Lḥasan Lmusawi adellis ines amezgaru yezlan umi igca:"Ma tγiras qa nettu?", mideg issiwel s tmizlit ines x Arif muk yella d muk ṭ-itarja, issiwel ges ra x uneɛraq d temγart d tudart d lmuwt. Zeg yezlan irebbaḥen id-yussin g udellis-a ntaf wani mig yeqqar:

"Nniγ ɛawed nniγ war fhimen yewdan Mala nec mmuteγ axafi cehden yezlan".

Amizli Lhasan Lmusawi d-mmis n Nnaḍur, iddar gi Fransa zi 1980. Adellis-a ines amezgaru ifγed zi (Taddart n Fidibrent), g usgwas-a mig neddar.

Je m'appuis sur un droit supérieur qui dit que le refus de la langue maternnelle à un enfant est un crime contre l'humanité

parceque c'est dés qu'on voit tifinagh on dit: *n Imazighen!* Mais, concrètement, pour travaillller, pour avancer avec un acquis qui est déjà fait, et avancer plus vite, parce que c'est aussi une question de temps pour nous, et aussi en relation avec ce qu'a décidé d'une manièère largement majoritaire le mouvement amazighe, c'est le latin qui l'emporte. Donc tifinagh on le garde et le latin on travaille avec. Et donc on a été surpris par cette décision de l'IRCAM qui est pour nous une décision qui n'est pas souveraine, et c'est ça aussi le danger, c'est que les décisions qui conçernent Imazighen ne sont pas prises de manières souveraines et libres par Imazighen eux mêmes, en ne regardant que leur propres intérêts. Nous pensons donc que cette décision n'est pas libre, donc ce n'est pas normal que les Imazighen décident de cette façon...

Tifraz : On veux bien profiter de cette occasion pour savoir la vraie position du CMA envers les intégristes islamistes en Algérie qui ne cessent de commettre des crimes contre l'humanité depuis l'intervention des militaires en 1991 pour annuler les résultats des élections municipales ...

L.B : je pense que ce qui conçerne Imazighen du Maroc c'est vraiment la même chose partout ailleurs, on cherche à les éffacer, à supprimer leur présence en Afrique du nord, et c'est para-partout. Il faut dire au sujet des islamistes que leur première victime est un kabyle, c'était en 1982, il s'appelle kamal Amzal, il avait 20 ans, c'était à l'université d'Alger. Il a été tué par coup de couteau par un groupe islamiste. Parce que le projet des Imazighen se confronte et s'oppose au projet du société obscurantiste intégriste...

Tifraz : Quelques analyses descriptifs déduisent que l'intégrisme peut même se manifester chez les athés, les libéraux, les socialistes. En liaison avec ceci il ya ceux qui avancent que le projet des Imazighen n'est pas tout à fait moderniste et démocratique puisqu'il se base sur des structures traditionnelles, tribales et archaiques, pour ceux là les Aarchs Kabyles sont semblables au Baath de l'Iraq : qu'en dites vous?

L.B : Alors là il disent des choses extraordinaires ! parce que un Aarch en Kabylie c'est un ensemble de villages qui constituent une communauté, et la cellule de base c'est Tajmaat qui est une assemblée de villages. Je ne sais pas si vous savez, mais en Kabylie la cellule de base (Tajmaat) est un exemple de démocratie puisque chaque famille est représentée dans la Tajmaat... Tajmaat traite des questions qui conçernent le village, dans le Aarch on traite des questions qui conçernent un ensemble de villages, il traite des divorces, il traite des mariages, il traite des *Tillas*, c'est à dire des frontières et des problèmes de voisinage.. Il traite des vols, et de tout ce qui fait partie des travaux publiques et des problèmes de la société.. tout ...soit au niveau du village (c'est Tajmaat), soit au niveau des villes (c'est le Aarch).... Et donc à la base, dans l'ancien temps, c'est déjà une structure démocratique. Avec l'entrée de l'administration française les Aarchs ont été mis en sommeil, puisque on a été organisé par l'administration coloniale. Et quand le gouvernement Algérien a commençé à tuer les Kabyles, les Kabyles se sont dit: qu'est ce qu'on fait? Puisque les partis politiques ne nous ont pas défendus, l'état nous tue, donc il faut qu'on s'organise en tant que populations. Et ils sont allés chercher cette organisation traditionnelle, mais cette organisation traditionnelle ça fait déjà quelques années depuis qu'elle est mise au bout du jour, puisque la démission, l'abandon du service publique par l'état Algérien date de longtemps déjà. Il ya des villages, par exemple, où il n'y a aucune autorité, ce sont les villageois qui cotisent pour installer une cabine téléphonique, se sont les villageois qui cotisent pour construire, pour mettre du goudran sur la route (l'état est absent). Donc c'est la population elle même, à la base,démocratiquement, qui assume tout. Celui qui est riche il lui font payer très chèr, celui qui est chômeur ne peut pas payer, et donc tout ça a été remis dans la dynamique d'aujourd'hui.

Tifraz : Par exemple...

Par exemple, chaque village est représenté au mouvement des Aarchs, chaque quartier d'une ville, comme Alhoceima, fait son assemblée, délégue ses représentants et fait faire des éléctions..

Tifraz : On constate que la situation de la femme, vue son absence aux Aarchs et même au sein du CMA, va mal avec les pratiques démocratiques connues pour leurs valeurs universelles. N'est ce pas ici une claire discrimination?

L.B : La situation des femmes c'est la situation de la société traditionnelle Amazighe. En fait, aujourd'hui on dit qu'il n'y a pas de femmes dans les Aarchs parce que la réunion des Aarchs se fait malgré la présence des militaires dans la Kabylie, et puis il y a des islamistes, donc c'est une situation du totale insécurité; on ne peut pas laisser les femmes comme ça, aller dans telles conditions d'insécurité. Mais ça ne veut pas dire que les femmes sont absentes du débat, et il est sûr que ne nous sommes pas satisfaits de la position de la femme dans la societé traditionnelle Amazighe. Il faut l'améliorer, et c'est ça notre projet aussi par rapport au projet intégriste par exemple. C'est vraiment un projet, en tout cas, que portent les Amazighes que se soit au niveau des Aarchs ou au niveau du CMA, notre bute est de construire une société moderne, mais moderne ça ne veut pas dire occidentale... ça veut dire que nous sommes des Amazighes, nous avons des valeurs qui sont les notres, et nous allons aussi les adapter à la situation actuelle...Et de dire que ce n'est pas démocratique ou c'est en relation avec les panarabistes, alors là je ne comprends rien...

Tifraz : Les valeurs du modernisme sont ni occidentales ni orientales mais, bien entendu, humaines et universelles, et vice versa pour les caractéristiques d'intégrisme; ceci va sans dire que le mouvement amazighe est lui aussi menacé par l'intégrisme tel que nous le conçevons. Quel commentaire ?

L.B : Ça c'est un risque, mais les personnes qui sont dans le mouvement qui défendent leurs prppres intérets, on dit qu'ils sont membres des services de l'état. Partout, il y a peut être aussi des gens qui sont intégristes, mais c'est difficile de savoir lorsqu'on en a... En tout cas, en tant que position du CMA, du mouvement amazighe, nous disons clairement que notre projet est un projet de société entière qui est moderne, ouverte, laïque. Et dans ce projet on trouve les réponses au type de societé qu'on veut construire, y compris la question de l'environnement; elle est dans la façon dont nous on conçoit notre avenir avec Tamazight, et c'est respecté, et il faut aussi inclure la femme dans notre combat, parce que c'est une personne...quand on parle d'égalité c'est l'égalité des citoyens, hommes et femmes, devant le droit.

Tifraz : Parlons un peu de l'actualité : le CMA a-t-il fait de déclaration au sujet de la guerre aggressive menée par l'USA et le royaume uni contre le peuple Irakien ?

L.B : On a pas fait du tout de déclaration.

Tifraz : Et alors quelle en est votre position personnelle ?

L.B : Personnellement, je dis qu'il est difficile, effectivement, de concevoir qu'un pays envahisse un autre pays comme ça, c'est à dire en utilisant uniquement la lois du plus fort. Ceci étant dit, je ne vais pas pleurer en fait que Saddam Houssein n'est plus, parce que c'est un dictateur qui a gouverné de manière anti-démocratique, d'abords contre son peuple, et il a utilisé des méthodes nazies, puisqu'il a gazé les Kurdes. Donc c'est une très bonne chose que Saddam Houssein ne soit plus à Baghdad pour gouverner encore son peuple à Baghdad...

Tifraz : Alors on est ici devant la façon la plus pire d'éliminer un dictateur...n'est ce pas ?

L.B : Oui, je ne suis pas non plus d'accord avec Chirac qui, en se défendant d'agir, maintient ou contribut au maintien de la dictature. Ce que je souhaite c'est qu'il y ait une vraie position des nations unies sur les valeurs humaines qui sont défendues par les N.U. Il y a une charte universelle des droits de l'homme...il y a des pays qui sont membres des N.U qui violent cette charte tous les jours. Cependant Chirac va en Algérie, ne dit pas un seul mot sur les droits de l'homme alors que sur le lieu de passage de sa voiture la police a embarquée 124 délegués des Aarches.Et donc on ne peut pas non plus se contenter de dire: Ce qui se passe dans les autres pays ne me regarde pas... Si tu defends la liberté et les droits de l'homme, si tu es pour ces valeurs là, partout ou ces valeurs sont violées tu dis: ça me concerne! Je ne dis pas à Chirac d' intervenir militairement en Algerie, mais de dire, au moins sur le principe, de dire à l'état Algérien: on est pas d'accord avec ces pratiques là.

Tifraz : Dans ce cadre on sait que vous aviez, en tant que CMA, envoyé des lettres à Chirac, et c'est aussi le cas pour le vieux Ait Ahmed le chef du FFS, quel était votre objectif?

L.B : on lui a écrit parce que le mouvement de Aarchs, qui a appelé au boycote des éléctions, en disant qu'il ya des morts tués par l'état, des milliers de blessés, qu'il ya des revendications, qu'il y a une comission d'enquête menée par le chef de l'état Algerien. Cette comission d'enqête a rendu ses conclusions en mettant clairement en cause les gens qui sont résponsables des crimes, et aucune décision n'a été prise pour sanctionner les résponsables de ces crimes. Donc les Aarchs ont dit: on ne peut pas continuer à faire comme si rien n'est fait, on ne peut pas continuer à cautionner un régime qui ne fait que nous réprimer, et fait la sourde oreille à toutes nos revendications.

Et là, semble t-il, il y a eu des tractations entre l'état Algérien et le FFS pour dire: il faut aller à ces éléctions, et le FFS pensait qu'il allait perdre toutes les mérites, toutes les voix au lieu de devenir le seul parti dominant en Kabylie. Donc nous avons dit à Ait Ahmed que l'état Algérien avait eu aussi derrière la tête de faire la guerre civile en Kabylie entre les kabyles, puisque les Aarchs appellent au boycote et le FFS devait aller aux élections, et donc forcément il y aurait de la bagarre. Donc on a dit,nous, à Ait Ahmed: il ne faut pas aller, puisque vous dites vous même que ce pouvoir est mafieux, ce pouvoir est assasin, ce pouvoir est corrompu. Comment vous allez votez dans ces conditions? Allez vous vous présenter dans ces conditions? Donc, je crois qu'on a eu raison, et les Aarchs en ont eu raison puisque la Kabylie n'a pas voté . Et donc c'est un parti qui s'est fait du mal tout seul, c'est vraiment dommage.

Tifraz : Il y a, paraît-il, dans votre discours une certaine confusion entre le CMA et les Aarchs Kabyles; cela signifiera t-il que le CMA fait de la politique ?

L.B : Le CMA n'a jamais soutenu cette idée,jamais. Le CMA ne fait pas de politique, ne fait pas de politique partisane. Le CMA s'occupe, ou insiste les citoyens à s'occuper, de tout ce qui les regarde, et c'est ça la politique dans le sens de la citoyenneté; je suis citoyen donc j'agis dans le sens de tout ce qui me concerne, dans tous les domaines...Le parti politique est toujours une opinion et des idées qu'on défend. Or nous, nous prétendons défendre d'abord les droits fondamentaux, en réclamant que les droits des Amazighs soient réspectés sur la base des droit universels. Si on parle dans le droit national il faut dire que la constitution nous ignore, moi je ne dis pas aux Amazighs qu'il faut réspecter cette constitution, il ne faut pas la réspecter puisqu'elle me nie. Et ici je m'appuis, par contre, sur un droit supérieur qui dit que le refus de la langue maternnelle à un enfant est un crime contre l'humanité. Et donc si ça c'est de la politique: oui! Nous n'avons pas appelé à la création d'un parti politique car un parti politique est fait sur l'objectif d'accéder au pouvoir. Ce n'est pas ça qui nous interesse, ce qui nous interesse c'est l'intérêt du citoyen, c'est de dire au cityon: prends toi en charge, pas que pour la langue Tamazight, bien sûr pour la langue Tamazight, mais aussi quand tu vois que ta rue est abondonnée par le service publique: ça aussi c'est Tamazight, alors imliques toi!

Tifraz : Revenons à la standardisation de la langue Amazighe; on constate que le Tarifit est marginalisé par l'INALCO... Pourquoi ?

L.B : Parce que vous, vous n'êtes pas pris en charge, et les autres sont occupés d'eux mêmes. Il ya très peu de travail qui a été fait sur Tarifit, mais...les travaux sont fait par qui? Par des chercheurs, et les chercheurs, il faut qu'ils soient payés, qu'ils travaillent dans des institutions de recherche...Et donc pourquoi va-t-on demander à la France de s'occuper de la recherche sur Tarifit ? *Irifiyyen d-imeghrabiyyen, ikhessa* l'état Marocain va s'occuper de Tarifit, avec des chercheurs d-*irifiyyen ig yesnen tutellayt nsen*.. Ils vont la développer .

Tifraz : Mais l'INALCO se trouve en France et elle doit être neutre vis à vis de tous les parlers amazighes...

L.B : INALCO se trouve en France, pourquoi va-t-on demander à l'INALCO ou à Salem Chaker de travailler sur Tarifit puisqu'il est payé par l'état Français?

Tifraz : Parce que le Tarifit fait partie des autres parlers amazighes et ne doit pas être ignoré par tout projet visant à standardiser la langue Tamazight...

L.B : Oui, mais personne ne peut vous mener, où ne doit pas vous mener, là ou vous ne voulez pas aller. Le CMA défend le droit de chaque population et peuple amazighes, Irifiyyen doivent avoir leur place dans le monde amazighe. Moi mon combat c'est de dire : il n'ya rien qui est fait sur Tarifit dans ce pays. Ce n'est pas normal; parce que Irifiyyen sont des citoyens et non pas des demi-citoyens. Pourquoi ,moi, en tant que *Arifi* je dois payer deux fois : je paye mes impôts pour le fonctionnement des institutions marocaines, et en plus je dois faire mes recherches tout seul. Je suis Marocain ou non ?! Moi j'ai toujours dit, en Algérie, aux institutions : nous sommes des Algériens à part entier, ou bien nous serons des Algériens entièrement à part. Et c'est ça qui arrive aujourdhui. Donc la standardisation est une question de temps et de pratique... Je suis arrivé hier, j'ai fait mes interventions en Tarifit ; ça m'est plus facile de parler, évidemment, en Français parce que je vis depuis 25 ans en France, *ssiwlegh s Trifit ag Irifiyyen illan din*...

Tifraz : Peut-on parler d'un problème d'intercompréhension ?

L.B : Oui ...mais quand tu dis *(Timedjarin) qqaregh (Timellàlin)*...Est ce que c'est une autre langue?! Ce n'est pas une autre langue. Donc la standardisation se fera d'elle même, mais il faut enseigner Tarifit, parce que... une fois que c'est écrit on n'aura plus de problèmes...

Tifraz : Mais au Maroc la langue amazighe va être enseignée en Tifinagh.. Le problème se posera t-il toujours ?

L.B : Dans l'écriture je pense qu'on va continuer à produire en latin essentiellement, et puis s'il ya de la production en Tifinagh tant mieux aussi. Encore une fois Tifinagh c'est à nous, mais je pense que ceux qui ont décidé ça ont un objectif politique; c'est encore de séparer les Amazighes les uns des autres.

Tifraz : Avant de clore cet interview, nous aimerions savoir comment vous arrivez à concilier entre vos devoirs professionnels et votre tache en tant que militant pour les droits amazighes ?

L.B: Moi personnellement je suis enseignant chercheur en économie, et je ne travaille pas sur Tamazight... Et d'ailleurs mon travail, en tant qu'universitaire économiste, m'intéresse de moins en moins parceque ce qui m'intéresse de plus en plus c'est ce combat. Et j'essaie de mettre mes connaissances, dans le domaine économique, au service de la cause Amazighe en essayant justement de -je sais que tous les pays où vivent les Amazighes sont des pays sous-développés- de montrer, par exemple, la marginalisation économique et sociale des Amazighes, en essayant, même avec le CMA, de trouver des projets de coopération entre l'Europe et les villages et les associations Amazighes. J'essaie aussi de réfléchir, avec des sociologues, des historiens, des antropologues...etc, au type de société qu'on veut construire. Moi j'ai une contribution dans mon domaine, j'essaie de réfléchir à la question de l'économie amazighe dans ses différentes contextes géographiques et locaux. Par exemple, je suis sollicité Ðpuisqu'il ya l'idée de l'autonomie de la Kabylie- pour dire, dans le domaine économique, comment et qu'est ce qu'on peut faire?

Tifraz : Dernière question : quel sera le plus beau souvenir d'Al Hoceima ?

L.B : Le plus beau souvenir c'est la rencontre avec Irifiyyen, et le fait de vérifier encore sur le terrain qu'on appartient au même peuple et à la même terre, de pouvoir s'exprimer dans la même langue, d'avoir ce sentiment de combattre pour la même cause, et donc d'être vraiment unis... C'est ça qui va me rester à l'esprit.

Tifraz : Netqad-ak umatnegh Lunes, tanemmirt d-tameqrant x wakkud i d-ak neksi g umsawal-a, nessitim aad akidek nemsagar gi min d-igguren.

Propos reccueillis par : Monaim Elazrak et Jamal Elmahdali.
Rédigés par : Monaim Elazrak.

(*)Les mots en italiques sont en Tamazight .

Interview avec Lunes Belkacem président du CMA

Le projet des imazighen se confronte et s'oppose au projet du société obscurantiste intégriste...

A l'occasion de sa visite à Al Hoceima, où il était invité par des associations amazighes locales, dans le cadre du Printemps Berbère (Tafsut Imazighen), nous l'avons rencontré dans un modeste café; il venait juste d'arriver d'Imzouren ou il acheva sa rencontre avec les associations amazighes, et sans même vouloir prendre son repas - puisque c'était déjà 14 heures - il a préféré prolonger son discours en acceptant de répondre cordialement à nos multiples questions, et cela juste avant de faire son départ à Benteyyeb (de Nador) là où il devrait accomplir les taches de sa visite spéciale pour le Rif. Malgré tout, ses yeux continuait à briller et sa voix enthousiaste retentissait dans café quasi-vide, on dirait alors qu'il était encore devant les masses des Imazighen qu'il venait de quitter. Le lecteur de Tifraz trouvera bien dans cet interview les traits/Tifraz d'un militant fervent pour la cause Amazighe et un revendicateur acharnant des droits des Imazighen.

Nous remercions monsieur Belkacem, au nom de tous nos lecteurs, pour avoir accepté, sans aucune hésitation, de nous accorder cet interview; et nous espérons que ses propos contribueront à enrichir le débat sur les questions et les problématiques relatives à la situation des droits et des revendications d'Imazighen, notamment la reconnaissance constitutionnelle de leur langue et leur culture qui constituent une source inévitable à la consécration des valeurs nécessaires pour notre monde contemporain : la démocratie, la tolérance, la différence et le respect de l'autre... Lisons donc Lunes :

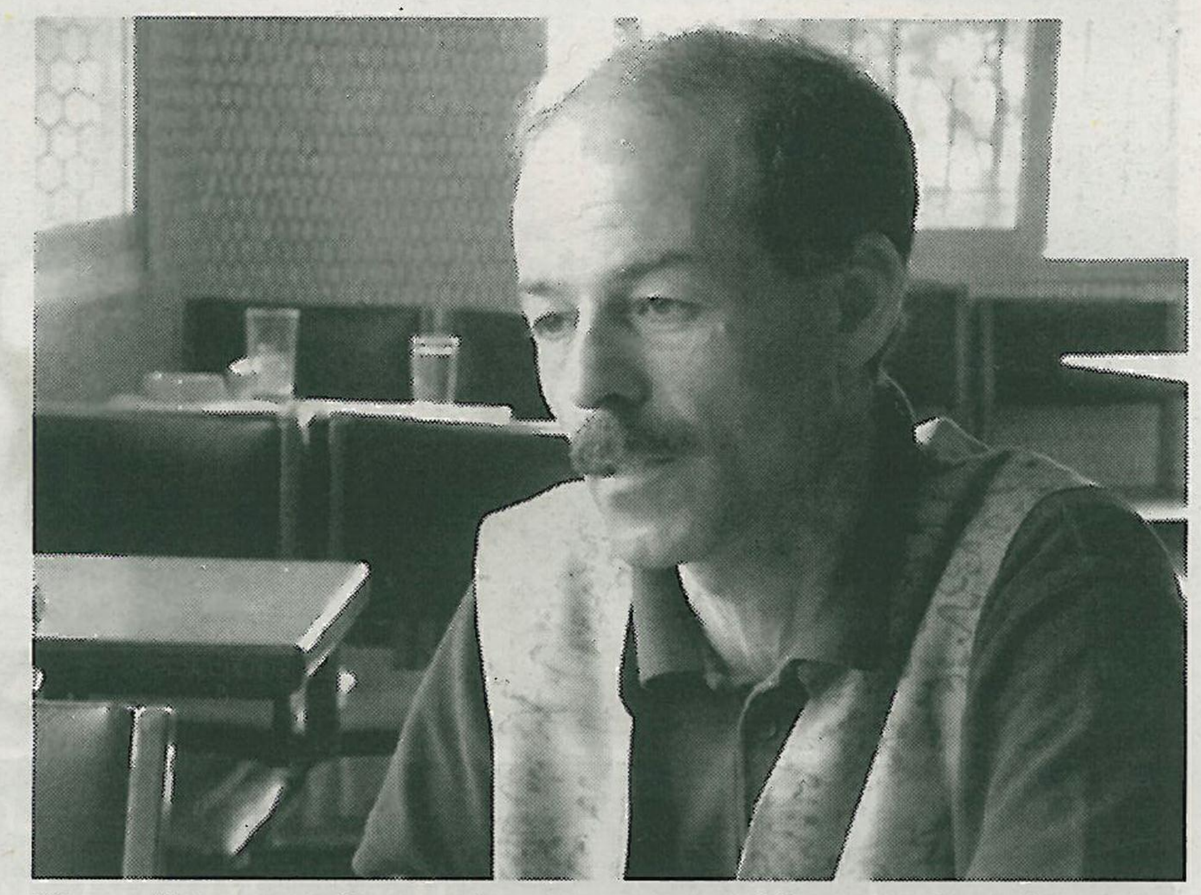

Tifraz : *Anessent s Tmazight amsawal-a, g umezgaru nrezzu atemled ikhef inek i imeghran n Tifraz ..S yisem nsen netseqsash : manis tekkid zi temszi inek ghar Lkungris Imazighen ?(*)*

L.B : *Lunes Belqasem d-amazigh iluled gi tmurt n Leqbayel, itaish gi Fransa zeg asegwas n 1978. Smi illa d-ameszian yuki ag...* il a pris conscience de la marginalisation *n tutelayt ines*, la situation culturelle sociale *n Leqbayel n tmurt n Ledzayer. Smi Iligh d-ameszian* depuis que je suis petit, en Kabylie, j'ai toujours été confronté au mépris avec lequel on était traités à l'école dans toutes les relations qu'on a avec la chose officielle, que se soit l'administration, que se soit les services publiques… toujours *Aqbayli itwahqer*, c'est à dire il est méprisé. A l'époque je ne comprenais pas pourquoi ; je savais que j'étais *d-aqbayli ssawalegh Taqbaylit*, j'ai gardé toujours un peu ce souvenir dans ma tête : Pourquoi? Et puis avec le lycée il y avait déjà (j'ai commencé mes études en Algérie, dans une ville *isem ines Delles* «délice» au bord de la mer),il y avait aussi en même temps la circulation, comme on dit en Français, sous le manteau (*Sed ufus*) des livres et des revues sur *amezruy imazighen* (l'histoire des Berbères) : C'est là que j'ai commencé à prendre conscience finalement de la situation de mépris dont on étaient victimes, à trouver son explication Et là aussi ma conscience prenait de l'ampleur, parce que j'ai dit : tiens, pourquoi cette école m'a caché tout ça?! Après, à titre individuel, j'ai commencé à me poser des questions et puis à réagir naturellement avec les autres.

Tifraz : Hormis la lecture et les débats relatifs à l'histoire des amazighes, quels étaient les autres facteurs qui ont motivés vos tendances dans ce domaine?

L.B : Il faut dire aussi autre chose ; la chanson Amazighe a joué un très grand rôle en Kabylie, notamment Idir, Ferhat, Imazighen Imula, et puis après c'était Maatoub … Pour la poèsie chantée c'est Ait Menguellet…Quand Idir chantait dans les années 70 :

Ur szrigh ans id-kkigh (Je ne sais pas d'où je viens)

Ur szrigh and-ahedugh (Je ne sais pas où je vais)

On se posait de grandes questions qui débouchent forcément sur la recherche de la vérité, et c'est nous qui l'avons trouvée,ce n'est pas l'état Algérien qui nous l'a enseignée, eux au contraire nous l'ont cachée, et donc on a tout de suite un sentiment de révolte en disant :pourquoi nous cachent- ils cette vérité ?! Donc on es allé,nous Imazighen, à la recherche de cette vérité par nous même, petit à petit..

Tifraz: Votre conscience et vos conceptions s'étaient, bien évidemment, manifestés au jeune âge au lycée Algérien… y a-t-il donc des contraintes, en liaison, qui vous ont poussées à la France?

L.B : J'avais 20 ans quand je suis partis en France. Mon père était émigré, alors j'y ai continué mes études et je suis resté là bas… Après je suis entré naturellement dans le mouvement associatif Amazighe en France, et puis c'est en France qu'a été crée le Congrès Mondiale Amazighe, et c'est là que j'ai fait la connaissance physiquement avec les autres Amazighes. C'est grâce au CMA que j'ai rencontré, en 1997, pour la première fois Irifiyyen,Ichelhiyyen, Itergiyyen… et toutes les composantes de Tamazgha.

Tifraz : Il advient donc que vous n'étiez pas au pré-congrés à Grenoble…

L.B : j'étais en 1995 parmi les membres fondateurs du CMA. En fait, j'étais un simple membre au début, c'est à dire au pré-congrés à Grenoble (1995) puis aux Iles Canaries(1997) …

Tifraz : Vous dites qu'en 1997 vous aviez fait la connaissance physique avec les diverses composantes Amazighes du Nord-africain… quelles impressions?

L.B : Ici je dois dire une petite anecdote qui montre un peu la gravité du mensonge officiel, c'est quand j'ai été à l'école primaire en Algérie; je me souviens; on nous apprenait qu'on avait deux types d'ennemis, et l'Algérien avait deux types d'ennemis : les Juifs et les Marocains. Evidemment, j'y croyais à l'époque (de Boumediane). Et donc qu'on découvre après que ces Marocains sont nos frères qui parlent la même langue que la notre, qui ont la même histoire et, qui ont la même terre et qui sont frappés avec le même bâton que celui qui nous frappe, il y a là de quoi avoir une haine de ceux qui nous ont appris cela, et qui ont essayé de nous inculquer.

Tifraz : Combien du temps vous a t-il fallu pour vous en débarrasser?

L.B : Non… non.. tout de suite, quand j'ai découvert la réalité j'ai voulu savoir la vérité justement en allant sur le terrain.

Tifraz : Auriez vous visité, avant, la ville qui vous accueille aujourd'hui?

Oui, effectivement ; je suis déjà venu à Al Hoceima comme touriste, avec mes enfants et ma famille en 1998.

Tifraz : C'est tout autre chose aujourd'hui, vous y êtes en tant que président du CMA. Quelle tache attribuez vous à votre visite actuelle?

L.B : Ma visite maintenant entre dans un tout autre cadre, je suis président du CMA, donc, naturellement le président doit aller partout où il y a non seulement les membres du CMA mais aussi voir Imazighen, et savoir dans quelles conditions vivent-ils, parce que je suis souvent amené à parler des Imazighen au niveau international, alors si je ne sais pas concrètement dans quelle situation vivent-ils, je ne vais pas bien en parler. Donc mon devoir est d'aller sur le terrain, rencontrer les gens, entendre et connaître la réalité des choses qui les concernent et me concernent moi aussi.

Tifraz : Que pourriez vous nous dire à propos de votre rencontre avec les jeunes amazighes du Rif?

L.B : C'était une très bonne opportunité pour moi, justement, de rencontrer le mouvement associatif Amazighe, pas seulement l'association Timuzgha, et puis là aujourd'hui on ai allé à Imzouren... Il y avait apparemment beaucoup de gens. J'ai trouvé que c'était d'abord un moment de ferveur, j'avais le sentiment d'être chez moi. Là on retrouve une ambiance fraternelle avec des gens qui posent beaucoup d'interrogations et de questions, non pas seulement sur leur quotidien mais surtout sur ce qu'il faut faire pour restaurer leurs droits, parce qu'ils ont pris conscience des choses mais ils ne savent pas comment...et c'est toute la difficulté. Mais je ne suis pas venu pour apporter des recettes. Je suis venu surtout pour écouter, pour voir dans quelles situations les gens vivent sur le plan culturel, sur le plan social, et quelles sont leurs préoccupations.

Tifraz : On a l'impression ici, comme le laisse entendre vos propos, que ces jeunes là sont inaptes pour revendiquer et restaurer leurs droits…

L.B : Ce qui est déjà bien c'est cette prise de conscience, ce sentiment d'appartenance à un ensemble commun, à une terre et une histoire commune. Ce qui est bien aussi c'est cette volonté de construire quelque chose de commun et ensemble. Même si on sait que c'est difficile.

Tifraz : Voudriez vous nous éclaircir un peu plus sur ces difficultés qui entravent toute tendance de construction commune?

L.B : Les difficultés sont semblables ici et ailleurs.. je ressens qu'il y a un parasitage du discours par un autre discours qui veut semer la confusion à l'intérieur des rangs du mouvement Amazighe, en essayant de le dévier d'une trajectoire qui devrait l'amener à restaurer ses droits essentiels. Mais il est normal aussi que dans la démarche de ce mouvement, qui tend à restaurer des droits, il y a des intérêts qui sont menacés, de gros intérêts politiques, économiques... etc. Donc ceux qui ont des intérêts à protéger, ceux qui tiennent à conserver l'ordre établi, se sont eux qui produisent un discours qui tend à semer la confusion à l'intérieur des rangs du mouvement Amazighe. Et ça c'est général, c'est partout...

Tifraz : Comment, dans une telle situation, qualifiez vous la relation entre les associations amazighes et le CMA?

L.B : Pour le moment la contribution des associations est limitée, ces associations sont faibles matériellement. Par ailleurs, il ya des associations qui n'ont pas compris le rôle du CMA et quel type de coopération qu'on peut faire entre le CMA et les associations. Donc on a éclairci aussi ces choses là, et qu'est ce que le CMA attend des associations, que le CMA n'est pas seulement organiser un congrès tous les trois ans, même si ce congrès est important parce que c'est là que les gens se rencontrent, mais pas que ça; entre un congrès et un autre il y a trois ans qui se passent, il y a du travail à faire pendant ces trois années.

Tifraz : De Grenoble au dernier congrés ça fait déjà presque une décennie; quelles sont les fortes réalisations du CMA durant cette période?

L.B : Il faut savoir que l'idée ou l'ambition du CMA est quelque chose d'énorme. Il voulait s'occuper de la linguistique, c'est à dire de la standardisation de la langue. Il voulait s'occuper de créer des médias Amazighes (TV, Radios, Journaux...). Il voulait faire s'occuper des artistes, et de leurs droits...etc. Et dans la pratique on s'est rendu compte que c'est vraiment énorme. Donc le CMA a évolué vers un travail un peu plus stricte qui est celui d'une ONG des droits de l'homme Amazighe, il reste quand même un lieu de rassemblement des Amazighes, le seul qui existe. En plus le CMA est une ONG qui porte les revendications amazighes sur la place internationale, et utilise les instruments juridiques internationaux pour amener les états, notamment au nord Africain, à prendre en considération les revendications des Amazighes. Ça je pense qu'on le fait de mieux en mieux. Aujourd'hui, il n'ya pas de rapports qui traitent du Maroc, de l'Algérie, de la Tunisie où de la Libye, ou vous ne retrouverez pas la question amazighe. Ceci est nouveau, c'est le résultat du travail des associations et du CMA qui est arrivé à introduire cette question. Et notre bute désormais est de faire en sorte que cette question soit systématiquement inscrite lorsqu'un des états où vivent les Amazighes est amené à s'exprimer auprès des Nations Unies ou à l'Union Européen.

Tifraz : Vous savez que l'IRCAM avait recommandé, il y a quelque temps, pour l'adoption de Tifinagh comme transcription unique de Tamazight au Maroc, quelle était la position du CMA face à cette recommandation?

L.B : C'est vrai que ceux qui ont le plus produit en termes de Tamazight, et les premiers à produire parmis la littérature contemporaine se sont les Kabyles, puisque beaucoup a été fait, et je crois que la grande majorité est en caractères latins. Celui qui a été le premier à céer une grammaire amazighe c'est Mouloud Maamri, il l'a fait en caractères latins. Il ya l'INALCO, il ya le haut commissariat de l'Amazighité (l'équivalent de l'IRCAM en Algérie) qui ont aussi opté pour le caractère latin. Et donc le mouvement amazighe avait essentiellement travaillé en caractères latins. Aussi faut-il dire qu'il y avait eu un débat au sein du mouvement amazighe au Maroc qui a beaucoup débattu la question, et d'après ce que je sais la tendance était plutôt pour le caractère latin. Et donc on était surpris que la décision de l'IRCAM était autre chose.

Tifraz : Donc, est ce que le CMA repousse Tifinagh en faveur de la transcription latine? Quels profits pourrions nous tirer d'une telle option?

Ce que nous disons au CMA, et ce que nous avons toujours dit, c'est que Tifinagh *nnegh* (c'est à nous), c'est l'écriture originelle et originale unique qui unit Imazighen. Donc c'est vital pour nous de préserver tifinaghe. On ne va pas abandonner tifinagh, on ne va pas laisser de côté tifinagh, il faut préserver ce moyen de transcription comme facteur unificateur, fédérateur et identitaire,

TIFRAZ N ARIF

N° 3 / Juin 2003

Tiwzirin n tfuyt

وصيفات الشمس

في الحاجة إلى علي لمرابط

«طريق الحياة ملآى بالأحجار»
من أغنية لبوب مارلي

يخوض علي لمرابط معركة بطولية تجسد أسمى قيم الشجاعة والنبل والكرامة. ومهما اختلفنا مع هذا «الصحفي المزعج» ، فإننا مدعوون جميعا لتذكر قولة فولتير الشهيرة: «قد أخالفك الرأي، ولكنني مستعد لأضحي بحياتي من أجل حقك في التعبير عن رأيك.»

إن معركة لمرابط ليست من أجل مصلحة محض ذاتية، أو من أجل وظيفة يطالب بها الدولة.. إنها معركة من أجل حرية التعبير التي يقول عنها أحد فصول الدستور بأنها مضمونة!

عندما نطقت المحكمة بذلك الحكم القاسي بالنسبة لصحافي(4 سنوات سجنا نافذة)، أدلى لمرابط بتصريح لقناة TV5 قال فيه بأن الذين حكموا عليه إنما يريدون، من خلاله، إعطاء درس لكل من يجرؤ على تجاوز الخطوط الحمراء بالتطاول على المقدسات التي هي كثيرة على كل حال!

بدوره، يريد علي لمرابط إعطاء درس في التضحية بل و«الموت من أجل ما لا يوجد»، كما عبر عن ذلك أندري مالرو ذات مرة. وهو في ذلك لا يستند إلى أي سند شريف أو عائلة ذات نفوذ، بل إنه يتكئ فقط على قناعاته و«عناده الريفي» المتأصل.

نقول لمن يريدون قتل علي المرابط بأننا في حاجة إلى هذا الرجل لإعطاء صورة لبلد ديموقراطي يسمح بالإختلاف والتعدد في الرأي، وفي حاجة إليه حاجتنا إلى أشخاص يجهرون بالحقيقة ولا يخفون أي شئ خدمة لمصلحة الوطن، وفي حاجة إليه لصيانة قيم الكرامة والشجاعة في ظل طغيان قيم الإنتهازية والعبودية الطوعية لدى من هم مستعدون لأن يقتلوا القتيل ويمشوا في جنازته! وفي حاجة إليه لكي تستعد كل شخصية عمومية تقرر في مصير العباد والبلاد للنقد ولو كان ذلك كاريكاتوريا!

الحسن أسويق

أسماء مضيئة

الجائزة الأدبية الكبرى بهولاندا (ليبريس) من نصيب عبد القادر بنعلي

عبد القادر بنعلي، من مواليد المغرب سنة 1975، غادرت أسرته إقليم الناظور لتقيم بمدينة روتردام الهولندية منذ 1979. تابع دراسته ب «ليد Leyde» متخصصا في التاريخ، لكنه سرعان ما اكتشف في نفسه قدرة كبرى على الكتابة والتعبير الأدبيين. وآخر اعتراف حقيقي بإبداعه الروائي وكتاباته الأدبية يتمثل في منحه جائزة ليبريس (Libris)، التي تعد المعادل الهولندي لـ Goncourt الفرنسية، وتبلغ قيمتها 50.000 أورو. وقد تم منحه هذه الجائزة الأدبية الكبرى اعترافا بموهبته ومكافأة له على روايته الثانية Langvrwachte (الطفل الذي طال انتظاره).

إن أصالة هذا العمل الروائي مستمدة من كون سارده المحوري مازال جنينا في رحم أمه، وهو يحكي، قبل ولادته، عن أبيه المهدي أشعب الذي سقط في حب امرأة شقراء وجميلة تدعى Diana Doom. وهذه الرواية تسلط الضوء على حياة أسرية تعج بالصخب والصراعات الدائمة، حيث تمتزج الأجيال والثقافات اللامتجانسة مع خيال هارب من الماضي ومتوثب باتجاه المجهول.

إن تتويج بنعلي يعزى، حسب لجنة التحكيم، إلى "براعة سروده، وقدرته على الربط بين الأحداث العجائبية والواقعية بحذق أدبي رفيع". وقد انتبه النقاد منذ روايته الأولى Bruiloft aan zee "عرس على البحر" إلى موهبته التي "منحته قابلية الكتابة بأسلوب متين مع عناية مركزة بالكلمات والتراكيب اللغوية"، وقد ترجمت هذه الرواية إلى سبع لغات(ترجمتها إلى الفرنسية Caroline Auchard وصدرت عن دار Albin Michel سنة 1999 بعنوان: Noces à la mer، جلبت للكاتب جائزتين أدبيتين بارزتين: جائزة (Geertjan Lubberhuizen) لأحسن "أول إصدار أدبي" بهولاندا، وجائزة أحسن رواية أجنبية بفرنسا سنة 1999. ويحكي عرس بنعلي عن استعادة رمزية للماضي والذاكرة عبر (Lamarat Minar) الذي يعود إلى قريته الأصلية بمعية عمه، لكن هذا الأخير سيختفي عشية حفل زفافه! ليغدو البحث عنه مغامرة يعيد فيها قراءة نفسه واستكشاف مظاهر وعلامات الحياة المختلفة بقريته، ثم تنتهي رحلته بالعثور على عمه الذي وجده مخمورا بدار للدعارة، ومع ذلك تستقبله زوجته الشابة، وهو شبه جثة من فرط الثمالة، قائلة بكلمات هادئة و ودودة: "أحبك يا معذبي في حياتي"! لقد نالت هذه الرواية احتفاء نقديا مميزا، فأطرى القراء والنقاد على بنعلي ذي الأسلوب البيتوريسكي، والخيال الفياض، واللاعب الحاذق بالكلمات: "إنه يعلكها واحدة بأخرى، يتذوقها ويلتذ بها، مما يجعل الرغبة تتفجر من نصه".

ع. القادر بنعلي

إن عبد القادر بنعلي يقيم اليوم بين هولندا والكيبيك، ويشعر بسعادة كبرى لتتويجه، لكن الصحافة الأدبية ببلده مازالت تتجاهله ككاتب مغربي وتترفع عن تعيين أصله الريفي، لسبب بسيط وعجيب: إنه لا يتحدث باللغتين العربية والفرنسية!

إن الأحكام القبلية (بفتح الباء أو كسرها)، على ما يبدو، هي التي جعلت من بنعلي، الكاتب الكبير وصاحب الرؤية الإنسانية المفتوحة، ضحية للتعتيم والصمت بعدما قاده بلده الأصلي للمهجر مبكرا. واليوم -ونحن نتالم ونبكي أمام جثث المغاربة والأجانب الذين حصدتهم نار الإرهاب بالبيضاء- ما أحوجنا لقراءة كتابات بنعلي وأمثاله، التي تقدم لنا عالما روائيا حافلا بالدلالات والرموز الإنسانية والوجودية، وتعرض لنا صورا نابضة بالتسامح والحوار بين الأجناس والثقافات والديانات. مع سرود بنعلي نتحرر من القناعات الجامدة ونتعلم مجاورة الآخر ومحاورته رغم شساعة الهوة وهول صدمة اللقاء.

ألا يبدو عبد القادر بنعلي، أمام هذه المفارقة العجيبة، كاتبا ملعونا على غرار بعض كبار الكتاب المعاصرين أو السابقين؟!... إنه الشاهد الأدبي على عصره، و حسبه ذلك فخرا ويقينا!

عبد المنعم الأزرق

العين الثالثة

درس في التسامح

في إطار الأنشطة الفنية والإشعاعية التي ينظمها المعهد الإسباني بالحسيمة، شهدت مؤخرا رحاب قاعة المحاضرات المشيدة حديثا بالمعهد المذكور، نشاطا فنيا متميزا تمثل في الأمسية الغنائية التي أحيتها الفرقة المحلية الشابة «RIFANA» للموسيقى الريفية.

ولعل المتابع لتلك الأمسية لن يفوته رصد ملاحظات في غاية الأهمية: إن الأمسية كانت ريفية خالصة، بحيث إن أعضاء فرقة «RIFANA» تحدثوا إلى الجمهور الغفير الذي حج إلى القاعة بالريفية وغنوا باللغة ذاتها، من غير أن يكلفوا أنفسهم عناء ترجمة أقوالهم وأشعارهم إلى اللغة الإسبانية. فماذا يا ترى كان رد فعل الإسبان المستضيفين والموجودين بنفس القاعة؟

كان واضحا أن كل ذلك لم يسبب لهم أي عقدة أو إزعاج، إذ ظلوا ينصتون بعناية فائقة لأنغام موسيقى مختلفة وكلمات لا يفقهون فيها شيئا.. دون أن يخلوا مكانهم أو تظهر على قسمات وجوههم علامات الوجوم أو الغضب إزاء ما يجري. فلم نسمع هتافات، من هنا وهناك، تدعو إلى "أسبنة" الكلمات، كما تعودنا أن نسمع دائما في مثل هذه المناسبات، "عرّب" أو "مزّغ" حسب اختلاف المقام، بل إن هؤلاء الإسبان تفاعلوا بشكل رائع مع تلك الأغاني الريفية، وعبروا عن إعجابهم وتقديرهم الكبيرين لنجمة الأمسية بامتياز الطفلة "مريم الحمديوي"، حين وقفوا، غيرما مرة، احتراما وإعجابا بصوتها الحنون والقوي وبخفة حركاتها المتناغمة جدا مع إيقاعات الموسيقى. كانت الطفلة -المغنية الواعدة- تغني لرمز المقاومة الريفية والإنسانية "عبد الكريم الخطابي" وتناديه: "أموحند أباباً..." بصوت دافئ ومتين خارج لتوه من عمق أعماق قلب ملئ بالحب والبراءة.. ليخترق، في انسياب رائع، أعماق الجماهير الحاضرة، ومن ضمنها الأساتذة الإسبان وذووهم الذين كانوا يصفقون ويهتفون « VIVA NIÑA ».

وللتذكير فإن هذه الأمسية نظمت بعد مضي ستة أيام فقط على الأعمال الإرهابية الدنيئة التي كانت البيضاء مسرحا لها وخاصة "دار إسبانيا". وللقارئ، هنا، متسع من الوقت كي يفكك هذا التناقض الإشكالي. ففي الوقت الذي يقدم فيه المغاربة، بل صنف من المغاربة، قنابل وطعونا من الخلف تنسف حق هؤلاء الأجانب في الحياة وفق النموذج الذي يلائمهم، ويثيرون الرعب في أفئدتهم، ها هم الإسبان من جهتهم، يمنحوننا مثالا صارخا في ثقافة التسامح والتعايش فيما بين الشعوب والثقافات، معربين بذلك عن "تفوقهم" ونضجهم الحضاري، وعن إيمانهم العميق بأهمية التنوع الثقافي والتكامل الحضاري، وملقين إيانا دروسا بليغة في ضرورة بعث الحياة في القيم الإنسانية النبيلة وإخصابها ونشرها، بعدما أمست تتلاشى،عندنا، مع ممارسات تيوس وخنافس الظلام.

إن المتأمل للوتيرة المتسارعة للأحداث التي ما فتئ يعرفها المغرب، سيدرك مدى الخطورة والأفق السديمي الذي يمكن أن ينتظر المغاربة، ما لم يتم الإنتباه إلى الواقع البئيس الذي أضحت فئة عريضة من الشعب المغربي تتمرغ في مستنقعه، وذلك بالعمل على اجتثاث الداء من جذوره، بضرورة الإلتفات إلى أحزمة البؤس المنبتة لهذه النوابت الطبيعية ومعالجتها بفسح المجال أمام مشاريع تنموية شاملة وحقيقية. أما الذين يحاولون أن يجعلوا من حدث الجمعة الأسود فرصة تاريخية لا تعوض لأجل مصادرة المكاسب الديمقراطية العديدة التي حققها المغاربة بنضالاتهم وتضحياتهم ولازالوا يكافحون لترسيخها واستكمالها، فهم مخطؤون ولاشك، لأنهم لايدركون كيف أنهم سيغتالون بذلك هذه القيم السامية التي ندعو إلى تثبيتها: قيم الحداثة والتنوير والتسامح التي لا تتحقق إلا في الإختلاف الذي هو مجالها الطبيعي، بينما تختنق في الإجماع الذي هو إلغاء للإختلاف.

سعيد الغزواني